عصر السريان الذهبي

بحث علمي تاريخي اثري

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية

والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

89

اقدّم كتابي

بعاطفة الاجلال والاحترام

الى

صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري

رئيس الجمهورية اللبنانية المعظَّم

أيده الله

فيليب دي طرازي

عصر السريان الذهبي

بحث علمي تاريخي اثري

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية

والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

مطبعة جدعون – بيروت

١٩٤٦

مقدمة

عنوان كل امة راقية مكانتها الادبية ومعالم حضارتها وعمرانها . فمن الامم القديمة التي يحق لها ان تفاخر سائر الامم وتنافسها في تلك المزايا الفريدة الامة السريانية ذات الاحسان العميم على العلوم والآداب والفنون . وما الآثار التي خلفتها في تلك المناحي الا برهان لامع على ما اسدته من المنن الجمة للعالم قاطبة في الاجيال الخالية . وكفاها شرفاً استنباطها صناعة الكتابة وتلقينها لسائر الشعوب التي اصبحت مديونة لصنيعها العظيم . وغير خاف ان الفينيقيين الذين احدثوا صناعة الكتابة ليسوا الا فئة من الامة الآرامية السريانية استوطنت السواحل اللبنانية وروجت اسواق التجارة في انحاء العالم القديم . ذلك ما حمل اساطين المؤرخين ان يطلقوا على الامة السريانية بكل حق وصواب لقب «اميرة الثقافة» و «ام الحضارة» .

ففي تواريخ البشر القديمة والحديثة لا نجد عصراً كعصر اشتهر فيه السريان باستنباطاتهم وآثارهم وتصانيفهم ونقولهم الطبية والفلسفية والتاريخية في كلتا اللغتين السريانية واليونانية . ثم لقنوها العرب وهؤلاء بدورهم القوها الى الشعوب المجاورة التي استفادت وافادت . فكان ذلك كله من جملة الدواعي الى النهضة الثقافية المنتشرة الآن شرقاً وغرباً . هكذا يتضح اتضاحاً جلياً ما قام به السريان من الخدم الجلى لا للحضارة فقط بل للعلم والانسانية معاً .

مر على الامة السريانية عصور ذهبية تألق فيها سناء فضلها وضياء عزها . فرأيت ان التقط طرفاً من اخبارها في تلك الحقب السعيدة وادونها في كتاب ينقل الى الخلف مآثر الجدود ومفاخر السلف . هكذا تسنى لي ان اجمع من التعليقات والقيود ما رأيت ان افضي به الى عشاق التاريخ والآثار القديمة بعد تمحيصها والتعمق في درسها والتعليق عليها . لعل ذلك الماضي المجيد يبعث في هذه الامة روح اليقظة والنهضة فتجدد غابرها المزدان بشتى المحاسن الخالدات. وبعملي هذا أضيف حلقة جديدة الى سلسلة تـــآليف وضعتها في سبيل الامة السريانية التي اتباهى بالانتساب اليها . عسى يصادف ذلك بعض الاستحسان لدى اهل البحث والعرفان .

الفصل الاول

العصور الذهبية الشهيرة في التاريخ

لكل امة من الامم العريقة عصر مجيد لمع فيه كوكب سعدها وخفق عليه لواء حضارتها وراجت فيه اسواق نهضتها الادبية . فدعا الكتاب والمفكرون ذلك العصر باسم «العصر الذهبي» تعظيما لقدر رجاله وتمييزاً له عن سائر عصور تلك الامة . وقد تخلدت ذكرى العصور الذهبية باسماء الملوك الذين عاشوا فيها ورفعوا شأن امتهم بين سائر الممالك والشعوب.

اما اشهر العصور التي ذكرها الكتاب وتغنى بها الشعراء قديماً وحديثاً فهي : عصر بريكليس (٤٩٩ - ٤٢٩ ق. م.) عند اليونان . وعصر اوغسطس قيصر (٦٣ ق . م - ١٤ م) عند الرومان . وعصر كسرى (٥٣١ - ٥٧٩ م) عند الفرس . وعصر كرلس الكبير اي شرلمان (٧٦٨ - ٨١٤) امبراطور المغرب . وعصر الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) وابنه المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) عند العرب . وعصر لاون العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١) في ايطاليا . وعصر الملكة اليصابات (١٥٥٨ - ١٦٠٢) في انكلترا . وعصر لويس الرابع عشر (١٦٤٣ - ١٧١٥) في فرنسا . وعصر ماري تيريز (١٧١٧ - ١٧٨٠) في النمسا . وعصر فريدريك الاكبر (١٧١٢ - ١٧٨٦) في بروسيا . وعصر كاترينا الثانية (١٧٢٩ - ١٧٩٦) في روسيا الخ . ولكل من تلك العصور الشهيرة في التاريخ مزايا خاصة اهلته ان يطلق عليه لقب «العصر الذهبي» .

الفصل الثاني

تحديد عصر السريان الذهبي

لم يتخلف السريان عن مباراة سائر الشعوب الراقية في عصور نهضتها الادبية . فكان لهم في تلك الحلبة المجيدة قسط وافر كما شهد بذلك اساطين

المؤرخين وجهابذة علماء المشرقيات . ومن طالع اخبارهم وانعم فيها النظر تولاه الاعجاب من درجة الكمال التي بلغها ادباؤهم على اختلاف المذهب والانتساب في شتى الامصار والاحقاب . فانهم فتحوا منذ المائة الرابعة للتاريخ المسيحي عصراً سعيداً ذهبياً بما انشأوه من المدارس الشهيرة والمعاهد الفخمة والمكتبات الزاهرة . وبمن انجبوه من الكتاب الاعلام وما ابرزوه من التآليف الخالدة وخلفوه من الآثار الثمينـــة شرقاً وغرباً . وظل يسطع نور عصرهم الذهبي حتى القرن السابع[١] بل امتد الى القرن الثامن[٢] . وتوسع بعضهم فقال الى القرن التاسع .

ثم عادت فبزغت انوار ذلك العصر الذهبي الميمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[٣] للميلاد . فبلغ كتبة السريان حينذاك اسمى ذروة في العلوم العقلية والنقلية على اختلافها . وملكوا فضلا عن سلامة الذوق ناصية البلاغة وازمة البيان .

وتصرم العصر الذهبي عند السريان بانطفاء سراج المفريان غريغوريوس ابي الفرج الملطي المشهور بابن العبري (١٢٢٦ – ١٢٨٦) . وهو يعد في الطبقة العليا بين ائمة امته وبين مشاهير كتابها . واطلق عليه المؤرخون والمستشرقون لقب « دائرة معارف » نظراً الى ما خلفه من الثروة العلمية في كل فن ومطلب . وكان بكل حق وصواب « آية من آيات الله واعجوبة من اجل اعاجيب الدهر »[٤] .

---

١) روبنس دوفال: الآداب السريانية: قسم ٢ صفحة ٣٣٧ والاب لابور: الدين المسيحي في الدولة الفارسية: صفحة ٣٥١

٢) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والفنون السريانية: للبطريرك افرام برصوم: صفحة ١٨٧

٣) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: للمطران اقليمس يوسف داود: مجلد ١ صفحة ٢٠١–٢٠٣ والمروج النزهية في آداب اللغة الآرامية: للاب اوجين منا: طبع الموصل سنة ١٩٠١

٤) اللؤلؤ المنثور: للبطريرك افرام برصوم: صفحة ٤١١

الفصل الثالث

مدارس السريان ومشاهير جهابذتهم

في العصر الذهبي

تعد الامة الارامية السريانيـــة بين الامم الراقية ذات التاريخ المجيد في العصور الغابرة . ذهب رهط من اهل البحث الى ان السريان هم الذين استنبطوا الكتابة . لان بلاد الفونيقيين الذين علموا الكتابة لليونان ليست الا بقعة صغيرة من بلاد السريان اشهر مدنها صور وصيدا وبيروت وجبيل . والفونيقيون كما هو ثابت كانوا امة شامية(١ اي سريانية . وكانت لغتهم اما سريانية محضة واما قريبة الى السريانية اكثر من سائر اللغات السامية(٢

انشئت المدارس عند السريان منذ دخولهم في النصرانية ، فانتشرت بينهم انتشاراً عجيباً غريباً جعلتهم في طليعة شعوب الشرق بالثقافة والبلاغة ، وناهيك بما انجبته تلك المدارس البعيدة الصيت من العلماء الاعلام والمؤلفين العظام الذين ذاعت شهرتهم شرقاً وغرباً . وقد اطنب في وصفهم وتعداد مآثرهم المؤرخون والكتاب وعلماء المشرقيات .

اذا ضربنا صفحاً عن علماء السريان ذوي الصبغة الدينية فمن لم يسمع بيوحنا بن ماسويه (٨٥٧†) رئيس اعظم مدرسة في بغداد ازدحم الطلاب على ابوابها(٣ وهل من يجهل اسم يعقوب الكندي (٨٦١†) فيلسوف العرب(٤ او اسم حنين بن اسحق (٨٧٦†) شيخ تراجمة الاسلام ورئيس الفلاسفة والاطباء(٥

---

١) انجيل مرقس ٧ - ٢٦
٢) اللمعة الشهية - للمطران يوسف داود ص ٩٩
٣) الآداب السريانية - تأليف روبنس دوفال ص ٢٧٢ و٣٨٦
٤) زبدة الصحائف - نوفل نوفل - ص ٤٥
٥) مجلة المنارة - سنة ١٩٣٥ صفحة ٨٥٢

او اسم موفق الملك بن التلميذ (١٠٨١-١١٦٤) الملقب بسلطان الحكماء(١ الخ؟ فلا غرو اذا اطلق المؤرخون والادباء على الامة السريانية كما سلف القول لقب «اميرة الثقافة» و «ام الحضارة» .

بعد هذه المقدمة الوجيزة ، يطيب لي ان ألمع الى بعض المعاهد السريانية التي كانت مراكز للتعليم في القرون الخالية . وفيما يلي أورد للقارىء اسماءها واسماء فريق من الجهابذة الذين تعلموا او علموا فيها وهي :

١ ـ مدرسة قطسفون او المدائن

تعد هذه المدرسة في مقدمات المدارس السريانية الشهيرة . فيها نشأ ططيان الآشوري مؤلف كتاب «الدياطسرون» في القرن الثاني للميلاد .

٢ ـ مدرسة الرها

ازدهرت هذه المدرسة التي انشأها ملوك الرها الاباجرة ازدهاراً رائعاً منذ القرن الثاني حتى القرن الخامس للميلاد . ونبغ فيها عدد وافر من الائمة المشاهير نذكر منهم : برديصان (١٥٤-٢٠٢ م) والفيلسوف وافا والعلامة اسوانا . وفي القرن الرابع تولى رئاسة تلك المدرسة مار افرام الكبير (+٣٧٣م) نبي السريان . ثم ربولا اسقف الرها (+٤٣٥م) ثم خلفه هيبا (+٤٥٧م) الخ . .

٣ ـ مدرسة نصيبين

اشتهرت مدرسة نصيبين الكبرى في القرن الرابع وعاشت حتى القرن السابع ، وفيها نبغ مار يعقوب الكبير (+ ٣٣٨م) وخلفاؤه في كرسي نصيبين . وفي هذه المدرسة علم نرساي الشهير (+ ٥٠٧م) وباباي الكبير (+ ٦٢٧ م) وغيرهما من مشاهير الاساتذة .

٤ ـ مدارس انطاكية وجوارها

من مدارس السريان الزاهرة مدرسة انطاكية الكبرى ومدرسة دير

---

١) اعلام العلماء باخبار الحكماء لابن القفطي ـ وخريدة القصر للخزرجي

مار بسوس الذي سكن فيه ايام عزه ستة الاف وثلاثمائة راهب[١]. ثم مدرسة دير تلعدا الذي انشئ في القرن الرابع ومدرسة دير الجب الخارجي وغيرها . واشتهر في تلك المدارس اسحق الانطاكي الكبير (+ ٤٦٠م) والبطريركان بولس الثالث (+٥٧٥م) وبطرس الثالث(+٥٩١م)ويعقوب الرهاوي(+٧٠٨م) وغيرهم

٥ ـ مدرسة قنسرين

قامت مدرسة قنسرين في القرن السادس بسعي مؤسسها يوحنا برافتونيا (+ ٥٣٨ م) . وعرف من جهابذتها البطريرك اثناسيوس الاول (+ ٦٣١ م) وتوما الحرقلي الذي نقل عام ٦١٦ م العهد الجديد عن اليونانية الى السريانية ، والفيلسوف الكبير سويرا سابوخت في القرن السابع . وقد امتاز سويرا هذا بعلومه ومصنفاته الفلسفية والفلكية . وعلى يده وصلت الارقام الهندية الى العرب[٢] .

٦ ـ مدرسة رأس العين

اشتهر امر هذه المدرسة في العصر الذهبي ، وكان مركزها على ضفة نهر الخابور بين رأس العين والحسجة بالقرب من قرية المجدل . وتفرد رهبان ديرها المعروف بدير « قرقفة » بضبط حركات الفاظ الكتاب المقدس وتجويد قراءته . وعرف من رأس العين سرجيس الراس عيني (+ ٥٣٦ م) امام عصره في الطب والمنطق والفلسفة . وهو اول النقلة من اليوناني الى السريانية . ومن اخباره ان البطريرك افرام الانطاكي (٥٢٦ ـ ٥٤٥ م) وجهه في مسائل خطيرة الى روما والى قسطنطينية فنجحت مساعيه .

٧ ـ مدرسة قرتمين

تأسست هذه المدرسة في طور عبدين سنة ٣٩٧ للميلاد . واشتهر رهبانها خصوصاً بصنع الرقوق وتهيئتها لنسخ الكتب. وتفننوا بتجويد الخطوط وتجديد الكتابة السطرنجيلية على يد رئيسهم المطران يوحنا عام ٩٨٨ م .

---

١) J. B. Chabot ; La Légende de Mar Bassus et son Couvent à Apamé, page 55 etc.

٢) المشرق ـ مجلد ١٤ سنة ١٩١١ صفحة ٢٣٩

ويروى ان عمنوئيل ابن اخي المطران المشار اليه نسخ على رق الغزال سبعين مجلداً من الكتاب المقدس طبقاً للترجمة البسيطة والسبعينية والحرقلية ووقفها لدير قرتمين(١ وظل هذا الدير زاهراً حتى القرن الثاني عشر .

واشتهر من هذا الدير علماء واحبار عديدون نذكر منهم ثئودوسيوس البطريرك (٨٨٧–٨٩٥م) الذي برع في الطب وألف فيه كتاباً عرف باسمه .

٨ – مدرسة دير برصوما بملطية

انجبت هذه المدرسة الزاهرة علماء مشاهير قام منهم بطاركة واساقفة ومؤلفون عديدون ، نذكر منهم يعقوب بن الصليبي مطران آمد († ١١٧١م) وثئودوروس بروهبون († ١١٩٣م) وميخائيل الكبير († ١٢٠٠) والمفريان غريغوريوس بن العبري († ١٢٨٦م). وفي هذه المدرسة راجت اسواق العلم من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر .

وحوت هذه المدرسة مكتبة عامرة حفلت بعدد وافر من المخطوطات السطرنجيلية والصكوك والفرمانات القديمة . وقد زينها البطريرك ميخائيل الكبير بكتب جمة نسخها او نقحها بيده . نذكر منها نسخة بديعة من الانجيل كتبها كلها بحروف ذهبية وفضية ودبجها بصور شتى ، ثم جعل ذلك المصحف الثمين ضمن صندوق فضي مذهب(٢ .

٩ – مدرسة دير البارد

موقع هذه المدرسة في اطراف ملطية وهنزيط . تأسست في العام ٩٦٩ للميلاد وظلت موطناً للتعليم والتأليف حتى السنة ١٢٤٣ ، وقد اشتهر امر رؤسائها واساتذتها بانشائهم بعض صلوات واناشيد تفردوا باستعمالها وادخلوها في الطقس السرياني ، تشهد لذلك مخطوطات عديدة حفظت الى هذا اليوم(٣

نكتفي بهذا النزر اليسير من المدارس السريانية في مختلف الاقطار ، وقد

---

١) كتاب رغبة الاحداث – للخوري اسحق ارملة جزء ٢ صفحة ١٥٧

٢) تاريخ الرهاوي الكنسي صفحة ٨٩

٣) مخطوطة قديمة تخص القس بطرس سابا البرطلي وغيرها

اسس السريان في كل مدينة او قرية استوطنوها مدرسة او اكثر حتى بلغ عدد مدارسهم في بلاد ما بين النهرين وحدها زهاء خمسين مدرسة من ارقى المدارس واوسعها. قال البحاثة السيد احمد امين: «كان للسريان في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية واليونانية . . . وكانت هذه المدارس يتبعها مكتبات . . وكان في الاديار السريانية شيء كثير لا من الكتب المترجمة في الآداب النصرانية وحدها بل من الكتب المترجمة من مؤلفات ارسطو وجالينوس وابقراط، لان هؤلاء كانوا محور الدائرة العلمية في ذلك العصر . وكان السريان نقلة الثقافة اليونانية الى الامبراطورية الفارسية(١ ثم الى الخلافة العباسية.

هكذا اتسع نطاق الثقافة عند السريان حتى انافا عدد مؤلفيهم في العصر الذهبي على اربعمائة كاتب او مؤلف اتصلت بنا اسماؤهم. وبلغت تآليف بعضهم ثلاثين او اربعين كتاباً(٢ . ولعل هناك كتبة كثيرين ضاعت اسماؤهم بضياع مؤلفاتهم(٣ بسبب الحروب والفتن والزلازل وما شاكلها من الفواجع والرزايا.

الفصل الرابع

مكانة بطريركية السريان وعدد ابرشياتها

في العصر الذهبي

انتشر السريان انتشاراً عجيباً غريباً لا في اقطار سوريا وما بين النهرين والعراق وبلاد فارس وملبار فحسب بل في الانحاء اللبنانية ايضاً . فان بطريركيتهم الانطاكية كانت الى عهد الصليبيين اعظم واهم من بطريركيات سائر الفرق النصرانية في الشرق دون جدال . وفاق عددهم يومئذ عدد سائر الملل النصرانية حتى في انطاكية عاصمة الكرسي البطريركي .

---

١) ضحى الاسلام لاحمد امين جزء ٢ صفحة ٥٩ — ٦٠

٢) مقدمة تاريخ كلدو واثور تأليف المطران ادي شير صفحة ٨

٣) راجع ما اثبته في هذا الشأن كتاب «اللؤلؤ المنثور» لمؤلفه العلامة البطريرك افرام برصوم .

فكان عدد اساقفة السريان في تلك الحقبة يربي على مائة وستين اسقفاً يخضعون قاطبة لبطريركهم الانطاكي ولمفريان الشرق اللائذ به . وكان لكل من اولئك الاساقفة ابرشية خاصة برعايته . لان القوانين البيعية حرمت تنصيب اسقف دون ابرشية شرعية . يتضح ذلك كله جلياً من فهارس الاساقفة الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير ومن التاريخ البيعي تاليف المفريان ابن العبري ومن ثقات المؤرخين في العصور الغابرة .

وبالجملة فان الكتبة المدققين سرياناً وغير سريان اجمعوا على ان عدد السريان في القرنين العاشر والحادي عشر ناهز المليونين من النفوس . اما عدد الملكيين في تلك الحقبة فلم يتجاوز النصف مليون وكان عدد ابرشياتهم خمسين ابرشية[١] . وذكر الاب هنري لامنس ان غليلم الصوري في «تاريخ الصليبيين» احصى الموارنة اربعين الفاً[٢] . ذلك كله يثبت ما احرزته بطريركية السريان في العصور السالفة من المكانة والاعتبار بين الشعوب المجاورة لها .

الفصل الخامس

انتشار عقيدة السريان في شتى الشعوب والاقطار

علاوة على اتساع بطريركية السريان في مختلف الاصقاع فانهم احرزوا في القرون الوسطى مكانة علمية وشهرة عالمية لدى اقطاب الدين وارباب الدنيا . وبهذه الوسيلة عمت عقيدتهم بالطبيعة الواحدة شعوباً جمة غير شعبهم السرياني كالأقباط والأحباش والارمن والعرب ونصارى الملبار وغيرهم . وهذا ما حمل جمهوراً من الكتبة على ان يطلقوا على ذلك العصر «عصر السريان الذهبي» .

---

١) معجم التاريخ والجغرافية الكنسي: للكردينال بودريار: مقال للمستشرق كرلفسكي (كيرلس شارون): صفحة ٦١٣

٢) تسريح الابصار: جزء ٢ صفحة ٥٥

١ – السريان والاقباط

على أثر استقلال السريان استقلالا بيعياً استحكمت عرى العلاقات بينهم وبين الاقباط مشايعيهم في معتقدهم بالطبيعة الواحدة . وبتوالي الايام ازدادت تلك العلاقات متانة حتى اننا نشاهد في سلسلة بطاركة الاقباط في الكرسي الاسكندري اسماء اربعة منهم كانوا من عنصر سرياني وهم: البطريرك دميانس الرهاوي في القرن السادس(١ . والبطريرك سيمون الاول سنة ٦٨٩ للميلاد(٢ . والبطريرك ابرام او افرام (٩٧٦-٩٧٩)(٣ . والبطريرك مرقس الثالث (١١٦٦-١١٨٩)(٤ .

وقد نقل الاقباط عن السريان في نافورة قداسهم ميمر مـــار يعقوب السروجي و «رتبة كسر القربانة» تأليف ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي (†١١٧١م) (٥ . وما برحوا يذكرون في قداسهم اسماء بعض ائمـــة السريان كافرام وسويرا البطريرك والانبا برصومـــا وماروثا(٦ . ويحتفلون لسويرا البطريرك باربعة اعياد في السنة(٧ .

ومـــا يبرهن على نفوذ اللغة السريانية في طقس الاقباط استعمالهم كلمات سريانية في طقوسهم وليترجياتهم كقولهم «طوبانيتين» و «طوباني» و «نيح» و «لتأت ملكوتك» و «الأخذ» اي التناول و «ميمر» و «رشم» و «رشومات» و «عتيد» و «تنيحوا» و «حياصة»(٨ الخ .

وانتشر السريان بين الاقباط في انحـــاء القطر المصري انتشاراً عظيما .

(١ السريان في القطر المصري: للخوري اسحق ارملة: ٧: ٢٣
(٢ تاريخ القبط: للشماس منسى: صفحة ٣٩٠-٣٩٣
(٣ مخطوطات المكتبة الاهلية بباريس: رقم ٦٥ صفحة ٣٢
(٤ السريان في القطر المصري: ٧: ٢٤
(٥ الخولوجي القبطي: صفحة ١٣٧و٧٣٦
(٦ الخولوجي القبطي: صفحة ٢٣٢و٣٧٣
(٧ مخطوطة دير الشرفة: رقم ٢/٤ صفحة ٣١٤-٣١٦
(٨ الخولوجي القبطي: صفحة ٥١-٧١٠ الخ

فابتنوا في المـــدن والدساكر عشرات الكنائس نذكر منها : كنيستين في الفسطاط(١ . وكنيسة قريبة من السد(٢ . وكنيسة مـــار ماروثا بناحية شمسطا(٣ . وكنيستين في الخندق(٤ . وكنيسة في سنموطية(٥ . وكنيسة مار بهنام في مصر العتيقة(٦ وقد زرناها عام ١٨٩٩ وهي اليوم بيد الاقباط الخ .

امـــا الاديار السريانية في القطر المصري فلم يكن عددها باقل من عدد الكنائس . وقد حفظت لنا الآثار التاريخية اسماء ثمـــانية عشر ديراً من اديار السريان الوافرة العدد يرتقي عهد بعضها الى القرن السادس للميلاد(٧ . وكانت تلك الاديار حافلة بجماهير من الرهبان والزهاد والعلماء انقطع فريق منهم الى التأليف والنسخ . وانصرف الفريق الآخر الى انشاء مكتبات نفيسة اشهرها مكتبة دير والدة الله في وادي النطرون .

وكانت تلك المكتبة تحوي مخطوطات سريانية قديمـــة ثمينة يرتقي عهد بعضها الى القرن الخامس والسادس(٨ . بينها زهاء ثلاثمائة كتاب مخطوطة على رق غزال(٩ . وقد اشترى بعضها القس الياس السمعاني والعلامة يوسف سمعان السمعاني . ثم ابتاع مـــا تبقى منها المستر تاتام سنة ١٨٤٢ ونقلها الى المتحف البريطاني في لندن كما سترى . ونشر علماء الانكليز فهارسها في ثلاثة مجلدات .

وقـــد ازدانت مكتبات الفاتيكان ولندن وباريس وبرلين وميلانو واكسفرد وكمبردج وغيرها بقسط وافر من تلك الكتب السريانية كما يستفاد

(١ المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني: رقم ٢٤٣ ورقم ٦٣١
(٢ المقريزي: مجلد ٢ صفحة ٥١١
(٣ المقريزي: مجلد ٢ صفحة ٥١٧
(٤ المقريزي: مجلد ٢ صفحة ٥١١
(٥ تاريخ جرجس ابن العميد التكريتي السرياني: صفحة ٢٩٩-٣٠٠
(٦ المخطوطات السريانية في مكتبة برلين: عدد ٢٥٩ صفحة ٧٩٠ والسلاسل التاريخية: صفحة ٣٨١ لمؤلف هذا الكتاب
(٧ مخطوطة المتحف البريطاني: رقم ٦٧٢
(٨ السريان في القطر المصري: ١٢ صفحة ٤٩
(٩ الاقباط في القرن العشرين: تاليف رمزي تادرس .

من فهارس مخطوطاتها . هذا ما عدا مخطوطات نسخت في ذلك الدير وحفظت الى هذا العهد في مكتبات اخرى كمكتبة دير الشرفة بلبنان ودير مار مرقس بالقدس الشريف ومكتبة الكلدان بماردين الخ .

٢ ـ السريان والاحباش

للسريان فضل عظيم في تنصير الاحباش بسعي ثئودورا الملكة (٥٢٧-٥٤٨م) زوجة يسطينان الاول قيصر الروم (٥٢٧-٥٦٥م) . وكانت ثئودورا سريانية المحتد منبجية المولد ناصرت القائلين بالطبيعة الواحدة . وقد سبقت فاوفدت الى بلاد الحبشة القس يوليان السرياني فاذاع فيها العقيدة المنوفيزينية . وظل هناك سنتين يقصد الصاريج ويعمد الناس كل يوم من الساعة الثالثة حتى الساعة العاشرة . فتنصر الاحباش على يده وفي مقدمتهم ملك الحبشة وارباب دولته(١

وما قلناه عن الطقس القبطي يصدق في الطقس الحبشي ايضاً . ولا يزال الاحباش يستعملون في قداسهم نافورة مار يعقوب السروجي السرياني (+٥٢١م) فضلاً عن صلوات كثيرة نقلوها الى لغتهم عن السريانية والحقوها بليترجياتهم(٢

وكانت تربط الشعبين السرياني والحبشي روابط العقيدة الواحدة . وما كانت الفوارق اللغوية او الحواجز الجغرافية او الاختلافات الجنسية لتقوى يوماً على فصم عرى تلك الروابط التي نشأت عنها في مختلف العصور بعض العلاقات بين الاحباش والسريان . فالتاريخ يروي ان الامير جرجس ابن نجاشي الحبشة انطلق سنة ٨٣٦ الى بغداد عاصمة العباسيين لتحية الخليفة المعتصم بالله . فاجتمع هناك في شهر آب بالبطريرك ديونيسيوس الاول التلمحوي . وبناء على رغبته ناوله هذا البطريرك السرياني القربان المقدس ثم قدم له بعض الهدايا كذكرى لتلك المقابلة التاريخية(٣

---

١) التاريخ الكنسي لابن العبري: في كلامه عن البطريرك سرجيس التلي
٢) السريان في القطر المصري: ٨ صفحة ٢٩ و٣٠
٣) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٤ سنة ١٩٣٠ صفحة ١٧٤ و٤٧٣

٣ ـ السريان والارمن

كان الارمن قبل استنباطهم الحروف الارمنية يستعملون القلم السرياني في كتاباتهم . واول من فكر منهم في وضع الحروف الارمنية هو القديس مسروب في اوائل القرن الخامس . فانه قصد مدينة الرها مع بعض تلامذته وتخرجوا قاطبة في مدرستها الشهيرة بالآداب السريانية على يد دانيال مطرانها العلامة(١ وعني مسروب واسحق جاثليق الارمن (٣٩٠ـ٤٣٩) بنقل الاسفار المقدسة(٢ وترجم شرح مار فرام الملفان لكتاب «الدياطسرون» عن اللغة السريانية الى اللغة الارمنية . ثم نقل الارمن تسع عشرة مقالة من كتاب «البراهين» تأليف القديس يعقوب افرهاط وغير ذلك عن اللغة السريانية الى اللغة الارمنية (٣

وابتنى السريان في ارمينيا كنائس عديدة واديارا زاهرة نذكر منها كنيستين فخمتين في سيس عاصمة ملوك الارمن وكرسي بطريركيتهم . ثم ديرين كبيرين قرب طرسوس(٤ . وكانت مدينة آطنة المجاورة لتلك العاصمة آهلة في القرن الثاني عشر بالسريان دون سواهم يرعاهم مطران من جنسهم ومعتقدهم(٥

وكان للسريان في ارمينيا ابرشيات وافرة العدد تسلسل فيها الاساقفة جيلا بعد جيل حتى القرن الثالث عشر . وقد ذكرها ميخائيل الكبير في لائحة الاساقفة التي ألحقها بتاريخه كابرشيات سيس وطرسوس وعين زربا وخلاط وآطنة الخ

ومما يستحق الذكر ان البطريرك اغناطيوس الرابع (١٢٦٤ ـ ١٢٨٣) احتفل احتفالا شائقا في كاتدرائية سيس السريانية بترقية غريغوريوس ابن العبري الى الرتبة المفريانية بحضور اساقفة السريان والارمن . وبعد الاحتفال رحب حاتم ملك قيليقيا الارمني في بلاطه بالبطريرك والمفريان والاحبار والاعيان(٦

---

١) المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤ صفحة ٥١
٢) المشرق: مجلد ٤ سنة ١٩٠١ صفحة ٤٢٨
٣) روبنس دوفال : الآداب السريانية: جزء ١ صفحة ٢١٨
٤) تاريخ الدول السرياني: لابن العبري: صفحة ٥٢٣
٥) تاريخ الرهاوي: فصل ٤٠٠ صفحة ٣٠١
٦) الزهرة الزكية في البطريركية الانطاكية: صفحة ٧٤

٤ ـ السريان والعرب

مثلما نشر السريان عقيدتهم بالطبيعة الواحدة بين الاقباط والاحباش والارمن نشروها كذلك بين العرب جيرانهم بني غسان ونجران وتغلب ومعد وبني كلب وغيرهم . وكان بطاركة السريان ينصبون اسقفاً او اكثر لكل قبيلة من تلك القبائل العربية . ودعي بعضهم باساقفة « المضارب » فكانوا يرافقون القبائل العربية المتنقلة ويقيمون الرتب الدينية تحت الخيام[١] ومن اساقفة العرب نذكر :

شمعون اسقف بيث ارشم[٢] وثئودور اسقف حيرة النعمان[٣] وقد وضع اليد عليه يعقوب البرادعي الاسقف المسكوني

ثم ان البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨-٧٠٩ م) نصب اسقفاً للعرب التغالبة يقال له يوسف[٤] ونصب قرياقس البطريرك (٧٩٣-٨١٧ م) ثلاثة اساقفة للعرب : اولهم الاسقف يوحنا للكوفة . ثانيهم الاسقف داود وقد وضع عليه اليد في « دقلا » عاصمة التغالبة[٥] وثالثهم الاسقف عثمان وهو الخامس والاربعون في عداد اساقفته .

ونصب البطريرك ديونيسيوس الاول التلمحري (٨١٨-٨٤٥ م) خمسة اساقفة لقبائل العرب التغلبيين . ووضع يوحنا الخامس (٨٤٧-٨٩٤ م) اليد على سبعة اساقفة للعرب بني معد وبني تغلب ونجران . وقس على من ذكرنا : البطاركة اغناطيوس الثاني وثئودوسيوس وديونيسيوس الثاني ويوحنا السادس وباسيل الثاني منذ السنة ٨٧٨ حتى السنة ٩٣٥ م .

والى السريان يعود الفضل في نقل الكتاب المقدس عن لغتهم الى اللغة

---

١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية : للاب لويس شيخو : قسم ٢ صفحة ٤١٤
٢) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٢٦٣
٣) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٣٠٩
٤) تاريخ ابن العبري الكنسي : صفحة ٣٤
٥) لائحة البطاركة والاساقفة : للبطريرك ميخائيل الكبير

العربية على يد بطريركهم يوحنا الثالث (٦٣١-٦٤٩م)(١ . واليهم كذلك يرجع الفضل في نقلهم الى اللغة العربيـة علومهم وعلوم اليونان خصوصاً في عهد العباسيين . فان اولئك الخلفاء استعانوا بنوابغ السريان واتخذوهم اساتذة لهم(٢ فمهدوا للعرب سبل الثقافة ومرنوهم على اقتباس اصناف المعارف .

الفصل السادس

السريان والفرس

في جملة الامصار الخاضعة للكرسي الانطاكي نذكر بلاد فارس التي اينع فيها الأدب السرياني بجانب الادب الفارسي. وبرز فيها احبار اجلاء وعلماء افاضل انشأوا تصانيف سريانية تجلت فيها مواهبهم العقلية. نذكر في مقدمتهم يعقوب افرهاط الحكيم الفارسي صاحب كتاب «البراهين» الذي افرغه في قـالب سرياني باسلوب جزل بليغ. ثم الجـاثليق شمعون برصباعي (٣٢٩-٣٤١م). وميلس اسقف شوشن († ٣٤١م). ولسنا ننسى مـار ماروثا († ٤٢٠م) الواسع الشهرة الذي بعثه ارقاديوس قيصر(٣٩٥-٤٠٨م) في رسالة توصية الى يزدجرد ملك الفرس (٣٩٩-٤٢٠م). فارتحل القديس ماروثا ثلاث مرات الى عاصمة الاكاسرة وتوصل بمرونته وذكائه الى كف الاضطهاد عن النصارى. ثم صنف عن الشهداء السريان في البلاد الفارسية كتاباً امتاز بلهجته البليغة المؤثرة.

وبعد استقلال السريان بيعياً كما تحدثنا قبل الان اخذ بطاركتهم او مفارنتهم ينصبون مطارنة واساقفة لكراسي الابرشيات السريانية في بـلاد فارس. نذكر منها ابدقون وسجستان وأفرة وجرجان وخراسان وهرات ومراغا وتبريز واذربيجان وغيرها. وقـد اطلعنا على جدول اساقفة تلك

---

١) تاريخ الرهاوي: فصل ١٢٩ صفحة ١٦٧-١٦٨ وميخائيل الكبير صفحة ٤٢١

٢) اللمعة الشهية : جزء ١ صفحة ٢٣ - والآداب السريانية: لروبنس دوفال: صفحة ٢٤٦

الابرشيات منذ عهد البطريرك قرياقس (٧٩٣-٨١٧م) حتى عهد البطريرك ميخائيل الكبير.

وروى المؤرخون اخباراً طريفة عن بعض علماء السريان واطبائهم الذين كانت لهم صلات مع ملوك فارس. نذكر من ذلك ما اثبته ابن ابي اصيبعة(١ وابن النديم(٢ عن ابي الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمار قالا ما خلاصته:

ولد ابن الخمار عام ٩٤٢ وقرأ الحكمة على يحيى بن عدي التكريتي وبرع في اللغتين السريانية والعربية وحذق اصول صناعة الطب وفروعها وتبحر في الحكمة. وتفرد بتواضعه للضعفاء وبتعاظمه على العظماء. فاذا دعاه السلطان ركب اليه في زي الملوك والعظماء. فكان يسير اليه في ثلاثمائة غلام بالخيول الجياد. وكان السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين صاحب بخارا يجله غاية الاجلال. وقد صنف ابن الخمار اربعة عشر كتاباً ونقل مصنفات كثيرة من السرياني الى العربي واجاد فيها. وتوفي ابن الخمار بعد السنة ٩٩٧ للميلاد.

وكان المفريان ابن العبري يتردد الى بلاد فارس ويتعهد مكتباتها الشهيرة(٣. ويتفقد ابرشياتها الخاضعة لكرسيه المفرياني. وحلت وفاته في مراغا ليلة الثلاثاء ٣٠ تموز ١٢٨٦ وصلى عليه اقليرس النساطرة والملكيين والارمن والسريان وشيعوه بحفاوة عظمى(٤.

الفصل السابع

السريان والخلفاء المسلمون والنهضة العلمية العربية

احتظى السريان بالثقة والاحترام عند الخلفاء الراشدين (٦٣٢-٦٦١م) والخلفاء الامويين (٦٦٢-٧٤٦م) والعباسيين (٧٥٠-١٢٥٨م). واول من

---

١) طبقات الاطباء: مجلد ١ صفحة ٣٢٢
٢) الفهرست: صفحة ٣٧٠
٣) تاريخ الدول السرياني: المقدمة: صفحة ٢
٤) جثالقة المشرق ومفارنة السريان للخوري اسحق ارملة: صفحة ٤١

نال القربى لديهم حين الفتح العربي هو منصور بن يوحنا السرياني الذي اصبح وزيراً للمالية في عهد الخلفاء الراشدين . امـــا ابنه سرجون وحفيده يوحنا المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي (†٧٤٩ م) فقد توليا ديوان الاعمال والجبايات في عهد الخلفاء الامويين .

واثبت جميع مؤرخي السريان ان اثناسيوس برجوميا الرهاوي ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥–٧٠٥ م) الادارة المالية في القطر المصري . وكان عهده في تلك الوظيفة عهد خير وبركة واقبال على الدولة الاموية[١] . وذكر ميخائيل الكبير ان مروان الخليفة (٧٤٤–٧٥٠ م) لدى ارتحاله الى حران ببلاد مـــا بين النهرين خف لاستقباله ايونيس الرابع بطريرك السريان (٧٤٠–٧٥٥) في هدايا وافرة وتحف نفيسة حملها على خمسين جملاً . فرحب بـه الخليفة ترحيباً جميلاً وكتب له فرماناً عام ٧٤٦ للميلاد خوله بموجبه الولاية على جميع الشؤون البيعية[٢] . وهو اول فرمان اعطي لبطريرك سرياني من خليفة المسلمين

واذا انتقلنا الى عهد الخلفاء العباسيين اتضحت لنا مكانة ائمة السريان وعلاقـــات علمائهم بكل من اولئك الخلفاء . فقد تفجرت ينابيع المعارف على يدهم وسالت الصحف باقلام مترجميهم ومصنفيهم واطبائهم في طول البلاد وعرضها . واغنوا العالم بنفائس الأسفار التي استخرجوهـــا الى العربية عن اللغات السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والهندية . فبلغت دولة العلم ايام عز الخلافة العباسية شأواً بعيداً قلما ذكر الكتاب مثله في العصور الخوالي .

وهذه كتب التاريخ طافحة باخبار اولئك الجهابذة كالبطريرك ديونيسيوس التلمحري واخيه تاودوسيوس في عهد الخليفة المأمون (٨١٣–٨٣٣ م) ومنهم العلامة حبيب ابو رائطة التكريتي في القرن التاسع . ورروفيل وبنيامين الطبيبان اللذان قرأ عليهما مار مـــاري علم الطب[٣] والفيلسوف الكبير يحي

---

١) تاريخ الرهاوي: فصل ١٤٩ صفحة ١٨٩ وتاريخ الدول السرياني: لابن العبري: صفحة ١١٢ و ١١٣

٢) تاريخ ميخائيل الكبير: صفحة ٤٦٤

٣) تاريخ مختصر الدول: صفحة ٢٨٥

بن عدي († ٩٧٤م) في عهد المطيـع لله (٩٤٦-٩٧٤م) . وعيسى بن زرعة (٩٤٣-١٠٠٨م) في عهد القادر بالله (٩٩١-١٠٣١م) . والشيخ يحيى بن جرير التكريتي واخوه ابو سعد الفضل التكريتي وغيرهم .

وفي السنة ١٢٢٣ قتل الطبيب الكبير امين الدولة ابو الكرم صاعد بن توما البغـدادي اليعقوبي . كان ممتازاً بسيرته وعلمه فاعزه الخليفـة الناصر (١١٨٠-١٢٢٥م) كل الاعزاز وقربه وامنه على جميع اسرار دولته وعلى ابنائه وبناته ونسائه . واتفق ان الخليفة المذكور ضعف بصره فكلف امرأة يقال لها «ست نسيم» ان تنهض بكل ما يكتبه هو واطلعها على جميع اسرار الدولة . وكان اذا وصل خطها الى الوزير الكبير اعتقد انه هو خط الخليفة نفسه فيقوم بانجاز كل ما فيه من اوامر ونواه .

وبعـد مدة من الزمان اتفق تاج الدين رشيق الخصي مع «ست نسيم» فجعلا يكتبان ما يخطر لهما كانه من فم الخليفـة ويعرضانه على الوزير فيكمله . وما عتم ان اطلع الوزير على تلاعب «ست نسيم» والخصي . ذلك انه استدعى امين الدولة بن توما المشار اليه وقرره فصرح له بان الخليفـة ضعيف البصر وان امرأة تكتب له ما شاء من الاوامر . ولما شعرت نسيم بافتضاح امرها بلغت ابني قمر الدين فكمنا للطبيب امين الدولة ووثبا به وهو خارج من دار الخليفـة وضرباه سكينتين . فصاح بهما الطبيب صيحة عظيمة فاستأنفا وطعناه طعنة نجلاء وفتكا به وبحامل فانوسه . ثم شيع الطبيب الى بيته ودفن فيه . وبعد تسعة اشهر نقل جثمانه الى بيعة مار توما ولحد في ضريح آبائه . وخلف ثلاثة ابناء وهم : شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة امتازوا كابيهم وارتقوا الى اسمى المراتب(١

وممن اشتهر بين السريان كذلك حسنون الطبيب الرهاوي وجبرائيل الطبيب الرهاوي مصنف الكتب الفلسفيـة والطبية نحو السنة ١٢٦٣ في اللغة السريانيـة . وشمعون الطبيب المشهور مجدد دير مار قرياقس . وامين الدولة ابو الكرم صاعد بن توما البغدادي († ١٢٢٣م) والطبيب عيسى تلميذ حسنون

---

١) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٤٤٩-٤٥٠

المذكور الذي ابتنى في سيس كنيسة فخمة على اسم برصوما . والربان دانيال ابن الخطاب المارديني[١] الخ .

وكان اولئك العلماء والاطباء يلازمون الخلفاء في بلاطهم ويجلسون الى مائدة طعامهم ويسامرونهم ويعالجون مرضاهم ويرافقونهم احياناً في حروبهم واسفارهم[٢] . وكان الخلفاء بدورهم يجلون اطباءهم ويرحبون بهم ويسنون لهم اعطيات سخية . ويعودونهم في منازلهم حين مرضهم ويراسلونهم . ويتسمحون معهم في قضايا دينهم ويحضرون احياناً الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازاتهم[٣]

ويؤثر عن بعض الخلفاء العباسيين انهم كانوا يتعهدون اديار النصارى ومناسكهم فيصادفون من الرهبان كل ترحيب واجلال . وقد نزل يوماً هرون الرشيد بدير مار زكى الذائع الصيت الواقع على ضفة نهر البليخ فاستطابه الخليفة وبر اهله[٤] . وغير خاف ان هذا الدير العظيم الذي كان يدعى « دير العمود » قد اسسته الملكة ثئودورا († ٥٤٨ م) السريانية المنبجية بجوار مدينة الرقة احدى الابرشيات السريانية . وعرفنا ممن تولى كرسيها المطراني سبعة عشر مطراناً سريانياً من السنة ٧٩٣ حتى السنة ١٢٠٠[٥]

الفصل الثامن

السريان وقياصرة الروم

شاءت العناية الربانية فاختارت من الامة السريانية اشخاصاً ارتقوا الى

---

١) من شاء الاطلاع على اخبار هؤلاء الجهابذة السريان فليراجع كتاب « تاريخ مختصر الدول » : لابن العبري : طبعة الاب صالحاني

٢) تاريخ مختصر الدول : صفحة ٢٢٦ — ٢٦٥

٣) تاريخ مختصر الدول : صفحة ٢٤٣

٤) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٥١٠

٥) السريان في لبنان : تأليف فيليب دي طرازي : جزء ١ قسم ١٢ فصل ٢

عرش القياصرة في قسطنطينية وتكللت مفارقهم بالتاج الملكي . نذكر منهم الملكة هيلانة والدة قسطنطين الكبير التي ولدت في « كفرفجي » بجوار الرها عاصمة الاباجرة ملوك السريان . ونضم اليها الملكة تئودورا زوجة يسطنيان الاول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) قيصر الروم وكانت تلك الملكة ابنة كاهن « سرياني » من مدينة منبج(١

روى المؤرخ سعيد بن بطريق († ٩٦٠م) انموريق قيصر (٥٨٢-٦٠٢م) وهرقل قيصر (٦١٠ - ٦٤١م) ملكي الروم استعملا منصوراً المذكور في فصل سابق على الخراج في دمشق لثقتهما بامانته وكفاءته . وكان منصور هذا سريانياً يعقوبياً(٢ واشتهر ولداه سرجيس وايليا فنصبا بطريركين على بيت المقدس احدهما تلو الاخر(٣

ولما انطلق هرقل الى مدينة الرها الغاصة بالسريان خرج الى لقائه جماهير غفيرة من الشعب والكهنة والرهبان . فادهشته وفرة عددهم ولم يتمالك ان يصرح لوزرائه قائلاً : « لا يجمل بنا ان نترك هذا الشعب المجيد منفصلاً عنا ! ». ثم توجه صباح الاحد الى كنيسة السريان وحضر القداس فيها(٤

ولما تولى نيقفور فوقا (٩٦٣ - ٩٦٩م) عرش القسطنطينية أرسل فاستدعى اليه عام ٩٦٩ يوحنا التاسع بطريرك السريان (٩٦٥-٩٨٦) للبحث في الاتحاد وقضايا المعتقد . فسار البطريرك يصحبه ثلاثة اساقفة وجملة من الرهبان ولبثوا هناك ثمانية شهور يعالجون تلك المسائل دون جدوى . ثم عاد البطريرك واساقفته الى كراسيهم(٥ .

---

١) راجع الجزء الاول من كتاب «السريان في لبنان» لمؤلف هذا الكتاب: قسم ٦ فصل ١ و ٢

٢) Carre de Vaux, Les Penseurs de l'Islam. II. 24.

٣) تاريخ ابن بطريق . جزء ٢ صفحة ٦١ و٦٩

٤) تاريخ الرهاوي البيعي: صفحة ٨٦

٥) التاريخ الرهاوي: مخطوطة البطريركية السريانية . وميخائيل الكبير وابن العبري في كلامهما عن البطريرك يوحنا العاشر.

وعلى اثر جلوس رومـــانس الثالث (١٠٢٨-١٠٣٤م) على العرش القسطنطيني ارتحل البطريرك يوحنا العاشر (١٠٠٤-١٠٣٠م) يرافقه ستة من اساقفته وعشرون راهباً وبعض رؤساء الاديـــار السريانية . فيمموا عاصمة قياصرة الروم ليهنئوا الملك الجديد . ثم امر الملك فعقد مجمع في كنيسة آجيـــا صوفيا حضره البطريرك المسكوني ومائتان من اساقفته ويوحنا العاشر بطريرك السريـــان المشار اليه واساقفته الستة . وبعد اخذ ورد كثير أبرز السريان مدرجين كتبوا احدهما بالسريانية والثاني باليونانية ضمنوهما شرح معتقدهم . وعلى اثر ذلك ارفض المجمع دون ان يتوفق الآباء الى عقد الاتحاد المنشود(١ .

الفصل التاسع

السريان وملوك الصليبيين

مثلما كان لائمة السريان في عصرهم الذهبي صلات مع ملوك الفرس والخلفاء المسلمين وقياصرة الروم كان لهم كذلك علاقـات مع ملوك الصليبيين في اثناء اقامتهم في بلاد المشرق.

وغير خاف ان اولئك الملوك عاملوا جماعات السريـان واحبارهم معاملة طيبة في الامصار التي ملكوها . فشملوهم بعطفهم ولم يتعرضوا لهم في كنائسهم واديارهم وجميع شؤونهم على رغم مخالفتهم لهم في المعتقد . قال ميخائيل الكبير: « تمتع اساقفة السريـان وكهنتهم بالراحة والسكينة في عهد دولة الصليبيين . فلم يلحقوا بنـا ادنى اذى لانهم كانوا يعتبرون جميع الساجدين للصليب على حد سوى . لا يماحكونهم بالمسائل الدينية كما كان يماحكهم اساقفة الروم »(٢

واول من جرت له صلات مـع الصليبيين من السريـان هو اثناسيوس السابع البطريرك الانطاكي (١٠٩١-١١٢٩م) . فانه زار غير مرة جوسلين

١) الملكيون: بطريركيتهم الانطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية : ٤٨ - ٥٠
٢) الحروب الصليبية في الآثار السريانية: صفحة ٧٥

ملك الصليبيين في «تل باشر»(١ عاصمته واقام في بلاطه عدة ايام محفوفاً بالتوقير والاجلال(٢ .

ولما توفي البطريرك المشار اليه كتب جوسلين الى اساقفة السريان في الحضور الى تل باشر عاصمته لانتخاب بطريرك جديد . فلبوا طلبة الملك وعقدوا مجمعاً في كنيسة الفرنج ترأسه المفريان ديونيسيوس موسى (١١٢١-١١٤٢) . وأجمعت كلمتهم في ١٧ شباط ١١٢٩ على انتخاب الراهب موديانا رئيس دير «الدوائر» المجاور لانطاكية بطريركاً انطاكياً وسموه يوحنا الخامس عشر (١١٢٩-١١٣٧) . واحتفلوا في تلك الكنيسة برتبة التنصيب احتفالا عظيما وسلموا اليه العكاز البطريركي بحضور الملك جوسلين ووزرائه وارباب مملكته . وفي جملة اولئك الوزراء كان ميخائيل ابن شومنا شقيق باسيل مطران الرها(٣

واثبت ابن العبري ان جوسلين لما شعر بدنو اجله عام ١١٥٧ وهو في سجن حلب استأذن الحاكم المسلم في الذهاب الى كنيسة السريان . وهناك قام بفروضه الدينية لدى اغناطيوس مطرانها السرياني وتناول الاسرار من يده(٤ . وبعد ذلك عاد جوسلين الى السجن وفيه توفاه الله تعالى . ثم اقيم له مأتم حافل اشترك فيه المسلمون والمسيحيون وشيعوه قاطبة الى تلك الكنيسة ودفنوه ضمنها في ضريح خاص .

وابتنى السريان كنيسة جديدة لابناء جماعتهم في انطاكية ما عدا كنيستيهم القديمتين . وقد باركها بابهة عظيمة بطريركهم اثناسيوس الثامن (١١٣٩-١١٦٦) . وتصدرت تلك الحفلة الكبرى ازابيل الملكة يحف بها اركان البلاط الملكي وجمهور غفير من الاحبار والقسان والرهبان الفرنج والسريان(٥ .

---

١) تل باشر: قلعة عظيمة بين حلب والبيرة . في لحفها بلدة كثيرة المياه والبساتين
٢) الحروب الصليبية في الآثار السريانية: صفحة ٧٤
٣) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٦٠٧
٤) تاريخ الدول السرياني: لابن العبري: صفحة ٣٦٦
٥) الحروب الصليبية في الآثار السريانية: صفحة ١٣٧

وفي السنة ١١٦٨ كتب ايمريك بطريرك انطاكية اللاتيني (١١٥٧-١١٨٠ م) رسالة الى بطريرك السريان ميخائيل الكبير (١١٦٧-١٢٠٠) يكلفه الحضور الى انطاكية . فاجاب البطريرك ميخائيل الى دعوته . وما كاد يصل الى انطاكية حتى خرج الى لقائه اقطاب الحكومة واية الدين في الوف من اهالي تلك العاصمة . ورافقوه باحتفال رائع الى كنيسة «القسيان» وهي كبرى كنائس انطاكية واجلسوه على الكرسي البطرسي الذي كان من خشب النخل مصفحاً بالفضة(١

وفي السنة ١١٧٩ اقبل البطريرك ميخائيل عينه الى انطاكية مرة ثانية ومنها ارتحل الى بيت المقدس . وعند مروره بعكا زار الملك بغدوين الصغير واطلعه على رسالة بعث بها اليه البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ - ١١٨١) يدعوه الى مجمع يعقد في رومة . فرحب الملك بالبطريرك وبالغ في تكريمه ثم حمله كتاب توصية الى اورشليم.

ومن بطاركة السريان الذين جرت لهم علاقات مع الفرنج الصليبيين اغناطيوس الثالث (١٢٢٢ - ١٢٥٢) الذي انطلق الى انطاكية مصحوباً برهط من اساقفته ومن هناك سار الى فلسطين ولما دخل الى اورشليم خرج الى استقباله سكانها وفي طليعتهم الاخوة الهيكليون الذين حملوه على ايديهم وطافوا به من باب العمود الى دير مريم المجدلية فحل فيه البطريرك واساقفته وحاشيته وكان يقطنه يومئذ سبعون راهباً من الرهبان السريان(٢

واشتهر في تلك الحقبة الحكيم السرياني الانطاكي الذي تعاطى مع بعض الملوك وتقرب اليهم . واقطعه احد ملوك الصليبيين فردريك الثاني امبراطور المانيا (١٢١١ - ١٢٥٠) مدينة كما هي باعمالها(٣

وقد اشار بطريركنا مار اغناطيوس بطرس السادس (١٦٧٨ - ١٧٠٢)

---

١) الملكيون: بطريركيتهم الانطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية: صفحة ٥٦
٢) تاريخ ابن العبري البيعي: جزء ١ في كلامه عن البطريرك اغناطيوس.
٣) تاريخ مختصر الدول: صفحة ٤٧٧

شهادين الى صلات السريان القديمة بالملوك الصليبيين وامرائهم . فكتب الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٤٣–١٧١٥) في ذلك يقول: « ليكن معلوماً لدى عظمتكم العالية ما صنع السريان القدماء مع الامراء الفرنساوية في محروسة القدس الشريف والمحبة والاتفاق بغاية المودة التي ابدوها امام السلاطين العظام الذين حكموا عليها » (١

وكان للسريان في عهد الامارات الصليبية حظوة في اعين ولاة الامور . وكان اقليرسهم متضلعاً من الاداب السريانية والعربية واليونانية(٢ وانضم اطباؤهم وصيادلتهم الى الجيوش والمعسكرات الصليبية . وانحصرت بيدهم اعمال الترجمة في الدوائر التي اعجبت ابن جبير بترتيبها وحسن معاملتها(٣

الفصل العاشر

السريان وملوك السلجوقيين والتتر

كان للسريان شعب غفير في الامصار التي دوخها السلجوقيون والمغول اي التتر في بلاد المشرق . واصبح ذلك مدعاة الى وجود علاقات بين أيمتهم وبين ملوك السلجوقيين والتتر . وقد انتهج أيمة السريان خطة رشيدة في عملهم استعطافاً لخاطر اولئك الملوك دفعاً للرزايا لا عن السريان فقط بل عن سائر الشعوب المجاورة لهم .

وممن اشتهر بين السريان يومئذ : الحكيم ابو سالم النصراني اليعقوبي الملطي المعروف بابن كرابا . خدم السلطان علاء الدين كيقباذ (١٢١٩–١٢٣٦)

١) سجلات المكتبة الاهلية بباريس: الرسائل العربية رقم ٤،٦٢٢
٢) تعاليق ريشار سيمون على رحلة دنديني : تعريب الخوراسقف يوسف العمشيتي : صفحة ١٤٥–١٤٦
٣) مقال الاب لامنس (المشرق : مجلد ٣١ سنة ١٩٣٣ صفحة ٧٢٥)

وتقدم عنده . وكان اهلاً لمجلسه لفصاحة لهجته في اللسان الرومي ومعرفته بايام الناس وسير السلاطين وكان السلطان لا يصبر عنه ساعة (١

وممن تعاطى من السريان مع الملوك السجلوقيين يوحنا التفليسي الذي نقل الانجيل المقدس سنة ١٢٢١ م الى اللغة السريانية . وذلك اجابة الى طلب السلطان علاء الدين كيقباذ المشار اليه . وكانت نسخة ذلك الانجيل مصححة بخط البطريرك يوحنا بن شوشان ومشروحة غوامضه بقلمه (٢

ويذكر بعد ذلك تقي الدين الراسعيني الطبيب المعروف بابن الخطاب الذي اتقن صناعة الطب غاية الاتقان علماً وعملاً . خدم السلطان غياث الدين وابنه عز الدين وصار له منزلة عظيمة منهما . فرفعاه من حد الطب الى المعاشرة والمسامرة وأقطعاه اقطاعات جزيلة . وكان في خدمتهما بزي جميل وأمر صالح وغلمان وخدم . وصادف من دولتهما كل ما سره (٣

وذكر ابن العبري ان البطريرك اغناطيوس الثالث (١٢٢٢ – ١٢٥٢ م) قابل السلطان عز الدين بن غياث الدين السلجوقي في ملطية حاملاً اليه الهدايا والتحف النفيسة . وقد لفظ هذا البطريرك على مسامع السلطان خطاباً بليغاً باللغتين العربية والفارسية ودعا له بالتأييد والنصر .

وذكر المؤرخون ان اغناطيوس الرابع بطريرك السريان (١٢٦٤-١٢٨٣) توجه الى «الطاق» عاصمة التتر وزار هولاكو ونال منه فرماناً يؤيده في البطريركية الانطاكية . ثم سار البطريرك دفعة ثانية وزار الملك «اباقا» بن هولاكو وخليفته في تخت المملكة فكتب له فرماناً ثانياً بالبطريركية (٤

واثبت المؤرخون ايضاً ان هولاكو لما سمع بشهرة الربان شمعون السرياني وبراعته في الطب ارسل يستدعيه اليه وعينه طبيباً خاصاً في بلاطه الملكي . فنال

---

١) تاريخ مختصر الدول : صفحة ٤٤٤
٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٠٢
٣) تاريخ مختصر الدول : صفحة ٤٧٩
٤) الزهرة الذكية في البطريركية السريانية الانطاكية صفحة ٧٤

الربان شمعون حظوة عظيمة عند ملوك التتر وملكاتهم وعند اولاد العترة الملكية كافة . وصرف الربان جهوده ونفوذه في دفع الضيم عن ابناء ملته وتعزيز شأنهم وصيانة كنائسهم في جميع الامصار الخاضعة لحكم التتر(١

وقد توثقت العلاقات الطيبة بين ملوك التتر وبين المفريان ابن العبري لما سمعوا عنه من غزارة المعارف وسمو الاخلاق . ولما جرى الاحتفال بتتويج احمد خان ملكاً على التتر سنة ١٢٧٩ انطلق المفريان الى « الطاق » لحضور ذلك المهرجان . واستصحب معه رهطاً من اساقفته حاملين الهدايا والتحف الى الملك الجديد . فرحب بهم الملك احمد خان وتوسع في ضيافتهم وقلد المفريان فرماناً شاهانياً(٢

وبعد هذا التاريخ غزا التتر دير مار بهنام بجوار الموصل عام ١٢٩٥ م وسلبوه امتعته وكنوزه . فقصد الربان يعقوب رئيس الدير ملك ملوك التتر واسترجعها . ثم وافى الملك نفسه في عظماء دولته وحرمه فزار ضريح القديس بهنام واهدى اليه هدية وسجد له وندم على ما صار واصدر الامر بان تنقش فوق قبته كتابة باللغة الايغورية أي التترية اقراراً بفضل مار بهنام وتأميناً لحياة رهبانه . وهاك تعريب الكتابة: « يحل سلام الخضر بهنام ولي الله ويستقر على القآن وعظمائه وخواتينه »(٣

الفصل الحادي عشر

السريان والملوك الارتقيون وملوك الكرج

جرت صلات متينة بين الملوك بني ارتق في ماردين وبطاركة السريان. من ذلك ان الملك نجم الدين ألبي (١١٥٣–١١٧٦) حضر سنة ١١٧٠ في دير الزعفران الاحتفال العظيم بجلوس ميخائيل الكبير على الكرسي الانطاكي .

١) تاريخ الدول السرياني: لابن العبري: صفحة ٥١٢
٢) التاريخ البيعي لابن العبري: جزء ٢ في اخبار ابن العبري
٣) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٩٧ و ٢٢٧

وألقى ديونيسيوس ابن الصليبي مطران آمد العلامة خطبة سريانية في تقريظ فضائل البطريرك . ثم تطرق لوصف مناقب الملك نجم الدين الارتقي وافاض في الدعاء له ولجنوده ولدولته (١

ولما ابتلي نجم الدين المومأ اليه بمرض عضال ظهر له مار آباي في الحلم وأوصاه بالنصارى . فلما نقه من مرضه اخذ يهتم بتشييد كنائسهم وترميم اديارهم وحقن دمائهم . وكان يجول في الاديار انتجاعاً للصحة حتى نال الشفاء التام بصلوات مار آباي وشفاعته (٢

ولما تولى البطريركية في دير الزعفران اغناطيوس الخامس (١٢٩٣-١٣٣٣) المعروف بابن وهيب أحبه الملك المنصور الارتقي (١٢٨٥ - ١٣١١) لمزيد علمه وفضله . وقد قربه اليه وخلع عليه ومنحه صكاً ممتازاً يؤيده في البطريركية.

اما ملوك الكرج فلم تكن علاقاتهم مع السريان باقل من ملوك سائر الامصار . وقد أثبت ابن العبري في تاريخه الكنسي ان جمال الدين وزير الموصل اوفد اغناطيوس الثاني (١١٤٣ - ١١٦٤) مفريان المشرق مصحوباً باسقفين الى جورجي ملك الكرج سنة ١١٦١ لاطلاق الاسرى المسلمين فخرج الملك الى لقائهم واحتفى بهم بمجالي السرور والاستحسان وأنجز مرغوبهم ودفع اليهم الاسرى . وكان المفريان والاسقفان يقيمون الحفلات الدينية في كنائس الكرج (٣ مدة اقامتهم في تلك البلاد . هكذا توفق المفريان في مهمته نظراً الى ما كان له من النفوذ والاحترام في بلاطي مملكة الموصل ومملكة الكرج.

---

١) خطبة ابن الصليبي : مخطوطة دير الشرفة : رقم ٣ - ٧ صفحة ١٣٦
٢) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٣٢١
٣) التاريخ الكنسي : لابن العبري : جزء ٢ صفحة ٣٥٣ - ٣٥٥

الفصل الثاني عشر

بعض ذخائر السريان وكنوزهم الثمينة

في العصر الذهبي

١ — أقدم اثر نصراني انما كتب بالسريانية

اقدم الآثار النصرانية الكتابية رسالة ابجر الخامس ملك الرها وجواب السيد المسيح له . فقد اثبتت التقاليد السريانيــة استناداً الى اوسابيوس امام المؤرخين البيعيين ان ابجر ملك الرها وجه رسالة الى السيــد المسيح يدعوه الى عاصمته ليتخلص من غوائل اليهود . فاجابه السيد المسيح قائلاً . «لا بد لي من ان اتمم في اورشليم ما لاجله انحدرت الى الارض . وبعــد صعودي الى السماء أرسل اليك احد تلامذتي ليشفيك من علتك وينيرك بانوار الايمان»

وصرح اوسابيوس في تاريخه ان رسالة السيد المسيح كانت محفوظة في المكتبة الملكية بالرها(١ . وقد تولى هو بنفسه نقل الرسالتين الى اليونانية عن اصلهما السرياني (٢ . وظلت هاتان الرسالتان الاثريتان محفوظتين في المكتبــة الرهاوية حتى القرن الحــادي عشر . فنقلهما رومانس الثـالث ملك الروم (١٠٢٨-١٠٣٤) الى القسطنطينية .

قال يحيى الانطاكي : «في آخر السنة الثالثة من ملك رومانس سار اليه سليمان بن الكرجي صاحب الرها واستصحب معه الكتاب الوارد من ابجر ملك الرها الى السيد المسيح وجواب السيد له . وكان كل واحد منهما على ورق طومار مكتوبين بالسرياني . وخرج الملك والكسيوس البطريرك وجميع اهل المملكة لاستقبالهما . وتسلمهما الملك بخشوع وخضوع تعظيما لكتاب السيد المسيح

---

١) تاريخ اوسابيوس : خبر ١٣ عدد ٦٧

٢) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٢١٢-٢٢٣

واضافهما الى الاثارات المقـــدسة التي في بلاط الملك . وعني رومانس الملك بترجمتهما من السرياني الى اليوناني . وترجمهما لنـا الى العربي الناقل الذي تولى نقلهما الى اليوناني على هيئتهما ونصهما » (١

٢ ـ منديل السيد المسيح

حفظ هذا المنديل المبارك في كنيسة مار قزما بمدينة الرها زمناً طويلاً قبل ان يستولي عليها المسلمون . ولما تولى المتقي الخلافة العباسية (٩٤٠ ـ ٩٤٤) كتب اليه ملك الروم يطلب منه المنديل المذكور . قال ابن العبري : « في السنة احدى وثلاثين وثلاثمائة للهجرة (٩٤٢ م) أرسل ملك الروم الى المتقي يطلب منه منديلاً مسح بها المسيح وجهه . فصارت صورة وجهه فيها وانها في بيعة الرها . وذكر أنه ان ارسلها اليه اطلق عدداً كثيراً من اسارى المسلمين. فاستفتى المتقي القضاة والفقها فانكر بعضهم تسليمها . واجاب بعضهم قائلاً : ان خلاص المسلمين من الاسر والضر والضنك الذي هم فيه اوجب . فأمر المتقي بتسليم المنديل الى الرسل وارسل معهم من يستلم الاسارى » (٢

٣ ـ ذخائر كنيسة مار يوحنا الكبرى في الرها

ضمت هذه الكنيسة القاتوليقية الكبرى ذخائر ثمينة وصفها المؤرخون السريان وغيرهم . وقد فقدت اذ تبعثرت عام ١١٤٥ للميلاد في معركة زنكي الطاغية . وكان بين تلك الذخائر صندوقة من الفضة الخالصة مرصعة بالذهب احتوت على رفات ادي الرسول وابجر ملك الرها (٣ الذي يعد اول ملك مسيحي على الارض (٤

---

١) تاريخ يحيى الانطاكي : صفحة ٢٥٢ ـ ٢٦٣
٢) تاريخ مختصر الدول : صفحة ٢٨٧ وتاريخ يحيى الانطاكي : جزء ٢ صفحة ٩٨
٣) تاريخ الرهاوي : فصل ١٤١ صفحة ٣١٦
٤) ميمر مار يعقوب السروجي ١٨٠ مجلده صفحة ٧٣٨

٤ ـ مائدة مذبح من الفضة في كنيسة الرها العتيقة

من اثمن الآثار القديمة التي خلفها السريان مائدة مذبح من الفضة الخالصة ورد ذكرها في تاريخ الرها المعروف بعنوان « مختصر تاريخ الاحوال » وهو من ادق التواريخ الواصلة الينا واقدمها . وكان العلامة يوسف شمعون السمعاني اول من نشره بالطبع في مكتبته الشرقية(١ . وهاك ما ورد فيه عن مائدة المذبح المذكور معرباً عن السريانية : « في السنة ٧٤٩ للاسكندر (٤٣٨ م) في عهد هيبا مطران الرها (٤٣٥-٤٥٧) استحضر سنطور الرهاوي مائدة مذبح كبرى من الفضة تزن سبعمائة وعشرين رطلاً وزين بها كنيسة الرها العتيقة »

٥ ـ كنوز ابونيس الرصافي في الرها

اشتهر ابونيس السرياني عام ٦٠٨ للميلاد بنفوذه وجاهه وثروته في الرها . وكان في مقدمة من ولاهم ملوك الروم على تلك المدينة . وقد زاره في قصره كسرى ملك فارس واطلع على ما حواه ذلك القصر من الكنوز الثمينة والاثار والمسكوكات القديمة .

وعلى اثر وفاة ابونيس طمرت تلك الكنوز في قلب ارض داره خوفاً من ان يستولي كسرى عليها . وبقيت مطمورة هناك مدة قرنين كاملين . ولما كانت السنة ٨٠٢ انتقلت دار ابونيس الى حوزة سلبسطر احد انسبائه . وذاع يومئذ وشاع ان في قلب الدار كنزاً ثميناً جداً . فاستخرج منها اولاد سلبسطر دنانير وجواهر ذهبية وفضية واواني ثمينة جداً .

ولما شعر هرون الرشيد († ٨٠٨) بالامر وجه احد خصيانه فقبض على اولئك الاولاد واضطر امهم العجوز وبناتها ان يطلعنه على الكنز . فاحضرن له شيئاً كثيراً من كؤوس وصحون وملاعق ذهبية وفضية وجرار واكواز فضية ممتلئة دنانير رومانية ومسكوكات عديدة نقشت عليها تماثيل حيات وعقارب ذهبية وفضية . واشتمل بعضها على مواد كيماوية ذهبية ظنها اصحابها

١) المكتبة الشرقية : للسمعاني : مجلد ١ صفحة ٤٠٣

تراباً فباعوها بابخس الاثمان . وقد نقلت تلك الكنوز الى هرون الرشيد فضمها الى خزانة المملكة(١

٦ – ذخائر كنيسة ميافرقين

ميافرقين : قاعدة دياربكر بين الجزيرة وارمينيا . . . وكانت تسمى قديماً مدينة الشهداء لما جمعه بها القديس ماروثا من عظام شهداء الفرس الذين قتلهم كسرى . واقام بها كنيسة على اسم الرسولين بطرس وبولس وكانت من عجائب الكنائس . قال ياقوت : وكانت بها بيعة من عهد المسيح . وفي البيعة الكبرى جرن من رخام اسود فيه منطقـــة زجاج فيها دم يوشع بن نون (والصحيح انه كان من بقايا دم المسيح) وهو شفاء من كل داء . واذا طلي به على البرص ازاله . يقال ان ماروثا جاء به معه من رومية الكبرى عند عوده من عند الملك(٢

٧ – تبعثر ذخائر السريان و كنوزهم القديمة

نضرب صفحاً عن ذكر ما كانت تحويه خزائن بطاركة السريان ومطارنتهم و كنائسهم واديارهم من الاثار القديمة والاواني القدسية الثمينة والحلل الفاخرة التي لا مثيل لها الا في خزائن الملوك والسلاطين . فقد اشار القس هرون الارزنجاني الى شيء من تلك الكنوز الوافرة التي تعد كنضاضة من ذلك التراث العظيم(٣ . وفي تقاليد السريان بطور عبدين ان تيمورلنك الطاغية انتزع من كنائسهم واديارهم كل ما كان فيها من حلي وحلل ومصاغات لا تقدر بثمن (٤

---

١) تاريخ الرهاوي: فصل ٨٧ و١٠٩ صفحة ١٣٧ و ٢٢٤ وهذا الخبر ذكره ميخائيل الكبير وابن العبري ايضاً

٢) شرح مجاني الادب : مجلد ١ صفحة ١٠٦

٣) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٧٧

٤) سياحة من بيروت الى الهند : للاب لويس شيخو (المشرق مجلد ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٧٨٠)

الفصل الثالث عشر

ابنية السريان الأثرية

١ ـ آثار دير مار بهنام

من الابنية الاثرية التي تجلى فيها الفن السرياني نقشاً ونحتاً وتصويراً كنيسة دير مار بهنام بجوار الموصل . وقد وصفها البطريرك اغناطيوس افرام رحماني وصفاً وافياً في مجلته «الاثار الشرقية» قال ما خلاصته :

«يرتقي عهد دير مار بهنام الى القرن الرابع للميلاد . وتشتمل كنيسته على بابين كبيرين يتوسطهما رتاج محكم الفن . فعلى الباب الايمن كتابات سطرنجيلية ونقوش بديعة تعلو هامة اسد فاغر فمه . وفي الوسط صليب والى جانبيه حمامتان مشتبكتان فوق كل منهما نجم نافر . ويعلو الصليب والحمامتين ثعبانان مزدوجان فاغران فمهما وبقربهما اسدان جاثمان فوق عضادتي الباب . وقد حفر تحت الاسد الى الناحية اليمنى في السطرنجيلية ما تعريبه : «كل من اتى ووطىء عتبتك (يامار بهنام) حصل على الامن» وحفر في الناحية اليسرى ما تعريبه : «انت ميناء مملوء عطفاً وغوثاً» . وقس على ذلك كتابات على شاكلتها حفرت فوق قائمتي الباب.

« وعلى عضادتي باب الكنيسة الايسر وعلى حنيتـه وعلى الرتاج الخارجي كتابات سطرنجيلية ايضاً ونقوش متقنة توسع البطريرك رحماني العلامة في وصفها كتابة فكتابة وصورة فصورة . . .

« ويشاهد الزائر في حنية باب الدير الشمالي صوراً جميلة كصور الصليب الكريم والى يمينه مار بهنام والى يساره اخته سارة . وفوق الحنية صورة مار بطرس بيده المفاتيح وتجاهها صورة مار بولس بيده سيف.

« اما رتاج الباب الوسطاني فقد دبج ركناه بنقوش متقنة بديعة يتوسطها صليب كبير تحدق به عضادتان منقوشتان اجمل نقش ركزت عليهما حنية مطعمة

بنقوش دقيقة أنيقة يتوسطها صليب تكتنفه شجرة فنواء باسقة . وفي اعلاه كتابة سطرنجيلية تعريبها « كالشجرة الحاملة ثماراً و كالينبوع الطافح بكل معونة ».

« وهناك حجر ظريف نقشت عليه ثلاثة غزلان تحف بها اغصان مورقة مطعمة في القاشان وتحتها لوح رخام حفر عليه بحروف سريانية «هذا دير مار بهنام بن سنحاريب الملك ... انبنى الدير بعون الله تعالى آمين».

« وفي صحن الكنيسة يشاهد الزائر ساريتين احداهما ضخمة حفرت عليها صورة الشهيدة سارة وصورة مار بهنام ممتطياً جواداً مطهماً لاحقاً في اثر ايل على ما ورد في سيرة حياته . ويعلو الشهيد مار بهنام تاج بديع يعقده على هامته ملاكان جميلان.

« اما قدس الاقداس فهو مزدان بعدة صور جميلة و كتابات بديعة مطعمة في رخام لا مثيل لصلابته ولونه . والى يمين الواقف اي الى الناحيـــة الجنوبية باب بديع الصنـــع دبجت حوله احدى وعشرون صورة من اجمل الصور تمثل مار بهنام واخته سارة ورؤساء الرهبـــان الاقدمين كمار انطونيوس والانبا فاخوم والانبا مقاريس وغيرهم متوشحين بالاسكيم الرهباني . ويشاهد اسم كل منهم محفوراً تحت صورته بالسطرنجيلية . وما بين تلك الصور المستبدعة نقوش رمزية تحير الابصار دقة صناعتها . . .

« والى يسار المذبح صورة أسدين جاثمين قابضين بفمهما على حلقة من رخام فوقها هيئة نجم نافر .

« وبالجملة فان ما اشتملت عليه كنيسة دير مار بهنام الاثرية خارجها وداخلها من النقوش والكتابات والتصاوير الكثيرة والاثار الرائعة يجعلهـا في طليعة كنائس المشرق باجمعها .

« اما ضريح مار بهنام فقد زينته قبة ظريفة دبجت اطرافها باجمل النقوش واصناف الكتابات السطرنجيلية والعربيـة والايغورية . وفي شمالي الضريح لوحان من الرخام نقش على كل منهما صليب تكتنفه عناقيد عنب وارغفة خبز وحمامتان مطوقتان . وهذا الضريح يحجه الزوار من مسيحيين ومسلمين ويزيديين في نذور وتقادم تبرهن عن اجلالهم واعتبارهم لولي الله صاحب هذا المزار الاثري »(١

١) راجع وصف هذا الدير الاثري في مجلة «الاثار الشرقية» مجلد ٣ سنة ١٩٢٨

٢ - آثار كنيسة مار بطرس في انطاكية

نقر معظم هذه الكنيسة في الصخر وما برحت ناحيتها الشرقيـة صخرية ايضاً . اما ناحيتها الغربيـة فقد قوضت ولم يسلم منها شيء على الاطلاق . ومن آثارها الباقية ارضها المرصوفة بالفسيفساء وهي الان في حوزة الرهبان الكبوشيين

٣ - آثار كنيسة مار سرجيس ومار باخس في الرصافة

كانت الرصافـة احدى عواصم ملوك غسان وكان المسيحيون يحجون كنيستها الكبرى المشيدة على اسم الشهيدين سرجيس وباخس . وهي كنيسة عظيمة في الجنوب الشرقي من الرصافة اشتملت على سوق فسيحـة يحف بها سماطان من القنـاطر ترتكز على اعمدة وردية اللون من الغرانيت المصري . وانطوت طبقتها العليا على سلسلة قناطر صغيرة محكمة الوضع . وما برحت تلك القناطر ظاهرة حتى الان في اطلال الكنيسة التي رممت في القرن الحادي عشر. ثم تقوضت ولم يبق منها الا الجدران والاعمدة(١

٤ - آثار كنيسة مار يعقوب الكبرى في نصيبين

أسسها مار يعقوب مطران نصيبين (٣٠٩-٣٣٨م) في القرن الرابع للميلاد. وكانت كنيسة عجيبة بنيت في مدة سبعة اعوام (٣١٣-٣٢٠) على طراز كنائس السريان في ذلك العصر . وكانت واسعة الارجاء دبجت جوانبها الاربعة بزخارف مستبدعة . ومع تداول الزمان قوض نصفها وبقي نصفها الاخر حتى اليوم . ويشاهد الزائر على سواريها الباقية نقوشاً كثيرة قلما شوهد نظيرها في بلاد المشرق (٢ . وتحت مذبحها الشرقي سرداب مربع يحوي ضريحاً من الرخام الازرق المغبر طوله نحو ثلاثة اذرع . وهو مغطى بحجر مقبب يقال انه ضريح مار يعقوب مؤسس الكنيسة (٣ .

---

١) المشرق : مجلد ٣٤ سنة ١٩٣٦ صفحة ٢٥٢
٢) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٨٩
٣) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٨٥٠

٥ ـ كنيسة دير مار اوجين بجبل الازل

موقع هذا الدير في قلب جبل الازل يطل على برية نصيبين الفسيحة. شيد في اواخر المائة الرابعة او صدر الخامسة . وهو مستو بين جبلين يكتنفانه من نواحيه الثلاث على شكل هلال . فكانه وكر نسور او عش حمام . اما كنيسته البديعة الكبيرة فتحوي ضريح القديس اوجين منشىء الدير والى جانبيه ضريحا اخته تقلا واسطرنطانيا . والاضرحة الثلاثة هي من الرخام الاسود المغبر (١

٦ ـ كنيسة دير قرتمين او دير العمر (٢

هذه الكنيسة الواسعة القديمة العهد لم تزل حتى اليوم . وهي تعد من افخر كنائس طور عبدين واقدمها وابدعها . ويقرأ في سيرة المطران جبرائيل مجدد دير العمر ان الملك انسطاس الاول (٤٩١-٥١٨) وجه اموالا وهدايا فضية وذهبية مع بنائين ونحاتين ماهرين فابتنوا الكنيسة وجعلوا سماكة جدرانها سبع اذرع . وتشتمل الكنيسة على ثلاثة مذابح لجهة الشرق وعلى ترونس من رخام طوله ستة اشبار في عرض عشرة اشبار توضع فوقه الكتب الفرضية . وقد نقر على هذا الترونس كتابة سطرنجيلية ضخمة تاريخها سنة ١٠٨٠ للاسكندر (٧٦٩م). وجاء في سيرة المطران جبرائيل المشار اليها ان هذه الكنيسة زينت بصور انسان واسد وثور ونسر اشارة الى الانجيليين الاربعة . وكانت مزدانة بنحو ثلاثمائة صورة تمثل حياة السيد المسيح (٣

ويشاهد حتى اليوم في قبة قدس الاقداس آثار فسيفساء مطعمة بالفضة والذهب على شكل جفنة عناقيدها سوداء واوراقها خضراء . وارض قدس الاقداس مرصوفة بالفسيفساء الملونة . وعند باب الكنيسة على شمال الداخل اليها

١) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٨٤٧
٢) العمر من السريانية ومعناه الدير
٣) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١١-٦ صفحة ٢١٠ و ٢١١ من الفهرس

حجر مكتوب بالسطرنجيلية يتضمن أسماء اساقفة هذا الدير مدة ٢٤٠ سنة اعني من السنة ١١٦٠ للاسكندر (٨٤٩ م) فصاعداً [١]

٧ - آثار كنيسة مار يعقوب الحبيس في صلح

بني دير مار يعقوب المصري الحبيس نحو السنة ٧٣٠ للاسكندر (٤١٩ م) اما كنيسته فشيدت حول السنة ١٠٨٠ للاسكندر (٧٦٩ م) وهي من ابدع كنائس الشرق وافخمها واضخمها. يعلو بابها الخارجي صورة شمس نافرة. ويشاهد زائرها على الجدار الفاصل بين المذبح والكنيسة نقوشاً ناتئة وسبع كتابات سطرنجيلية يرتقي اقدمها الى السنة ١٠٠٠ للاسكندر (٦٨٩ م) تليها كتابة حفرت في السنة ١٠٦٥ للاسكندر (٧٥٤ م) الخ. وتعلو باب المذبح نقوش ظريفة مختلفة الاشكال وقبة شاهقة [٢]. وسنلمع في فصل تابع الى انجيل بديع مصور حفظ في هذه الكنيسة حتى الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨).

٨ - آثار اضرحة دير مار ادي الرسول في طور عبدين

حفظ من هذا الدير العظيم رواق قديم العهد حفرت على حجاره كتابات سطرنجيلية محكمة تشير الى ان هناك مقبرة لرهبان الدير. ويتصل اقدم تلك الكتابات بالسنة ١٢٢٠ للاسكندر (٩٠٩ م). تليها سنة ١٣٠٠ للاسكندر ثم سنة ١٣٠٧ الخ [٣]

٩ - آثار دير مار آباي في قلث

موقع هذا الدير شمالي قرية قلث بطور عبدين. وهو دير عظيم تأسس في القرن السادس وعصف الدير برهبانه حوالي السنة ١٧٠٠ وكان يقطنه ستون

---

١) المشرق: مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٨٣٥ - ٨٣٧

٢) المشرق: مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٦٧١ - ٦٧٢

٣) المشرق: مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٧٥١-٧٥٢

راهباً(١ . طول بنائه تسعون ذراعاً في عرض ستين ذراعاً . وعلى احد ابوابه صورة اسد رابض . وهناك حجر ضخم شق شطرين اشتمل احدهما على ثمانية عشر سطراً والثاني على اثني عشر سطراً مكتوبة كلها بحروف سطرنجيلية(٢ . وقد زار هذا الدير نجم الدين الارتقي ملك ماردين (١١٣٥-١١٧٦) في اثناء مرضه ونال الشفاء من ولي الله صاحب هذا الدير(٣

١٠ – آثار دير مار سرجيس ومار باخس في حاح

هذا الدير موقعه في شمالي قرية حاح بطور عبدين . ويشاهد في رواقه الغربي اثنا عشر حجراً مكتوبة بالسطرنجيلية يرقى اقدمها الى شهر حزيران ١٥٠٠ للاسكندر (١١٨٩ م) . وعلى باب كنيسة الدير الشمالي صليب نقشت حوله في السطرنجيلية آية داود النبي : « انظروا اليه وترجوا ووجوهكم لا تخزى » (مز ٣٣ عدد ٦)(٤

١١ – آثار كنيسة مار يوحنا في كفرزة

كفرزة هي احدى قرى طورعبدين وكنيستها الكبرى مشيدة على اسم مار يوحنا . ويشاهد الزائر على جدارها صورة ثعبانين تعلوهما هيئة شمس وقمر والى جانب البيعة رواق حوى حجاراً مرقومة بالسطرنجيلية تصعب قراءتها لان الامطار والرياح ذهبت برونقها (٤

١٢ – آثار كنيسة مار قرياقس الكبرى في انحل

انحل قرية قديمة في طور عبدين غربي مذيات . وكنيستها المبنية على اسم مار قرياقس الشهيد تحاكي في هندستها الكنائس الراقية الى القرن السادس . وفي

---

١) تاريخ العلوم والآداب السريانية : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٥٠٧
٢) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٥٧٤
٣) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : صفحة ٣٢١
٤) سياحة في طور عبدين : للخوري اسحق ارملة.

جدارها الشمالي ضريح المفريان عبد الاحد بن جندو يحيط به اطـــار من حجر ارتفاعه نحو خمس اذرع واتساعه ثلاث اذرع . وقد حفر على ذلك الاطـــار بالسطرنجيلية تاريخ هذا المفريان وسنة وفاته .

١٣ ــ آثار مار يوليان الشرقي بجوار القريتين

لهذا القديس المعروف بيوليان الشيخ كرامة عظيمة في البيعة السريانية وهو الذي وشح مار افرام الكبير بالاسكيم الرهباني. وعلى اثر وفاتـــه عام ٣٦٧ للميلاد نقل تلامذته جثمانه الى جوار بلدة القريتين الواقعة ببادية تدمر. واودعوه ضريحاً من حجر البازار لم يزل باقياً حتى اليوم (١ ويحجه الاهالي من كل صوب يوم عيد القديس الواقع في ٩ ايلول.

١٤ – آثار دير مار موسى الحبشي بجوار النبك

يرتقي عهد بناء هذا الدير الى اوائل القرن السادس وهو يبعد عن بلدة النبك مسير ساعتين . وكنيسته الاثرية محفوظة حتى اليوم يعلو مذبحها قبة خشبية مزركشة راكزة على اربعة اعمدة خشبيـــة ايضاً . وفي هذه الكنيسة صور الانجيليين الاربعة مرسومة في اطراف قبتها . وبجانب كل منهم آية بالسريانيـــة مقتبسة من انجيله .

١٥ ــ آثار كنيسة مار بطرس في العاقورة بلبنان

من اقدم كنائس السريان الاثرية كنيسة مار بطرس الرسول في العاقورة بلبنان . وهي تتفرد عن سائر الكنائس بكونها منقورة في الصخر . يبلغ طولها كعرضها نحواً من ١٥ ذراعاً . اما ارتفاعها فلا يتجاوز اربع اذرع وقد احتوت على احد عشر ضريحاً منحوتة بطول قامة الانسان وصفها بعض السياح وعلماء

---

١) المشرق : مجلد ١٠ سنة ١٩٠٧ صفحة ١٢١

الآثار . ومما يؤيد ان هذه الكنيسة كانت للسريان قبل انتقالها الى الطائفة المارونية سنكسار نسخ سنة ١٧٢٦ للاسكندر (١٤١٥م) جاء فيه ما نصه :

« هذا الكتاب السنكسار الاباء القديسين . . . وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً على كنيسة مار بطرس في قاسطرة عين قورا قريباً من يانوح . كتبه الخاطي ... ربان سركيس ولد شماس برصوم ولد الخوري شمعون من بيت زوين في يوم ٢٥ اذار سنة ١٧٢٦ لاسكندر المقدوني . في ايام ابهاتنا ابونا وتاج رؤوسنا المحترم موران ماري ايغناطيوس بهنام بطرك انطاكية السريان وماري ديوسقورس بهنام المفريان المشرق وماري فيلو كسينوس اسقف قاسطرة حردين المباركة . اوقفه على روح امه شموني مراة برصوم زوين وليس لاحد ان يأخذه او يمتلكه ... صح صح »(١

١٦ — آثار كنيسة دير والدة الله في وادي النطرون بمصر

يرتقي عهد هذه الكنيسة الى القرن السادس او السابع للميلاد. جدد مذبحها القس موسى النصيبيني في القرن العاشر وحفر فوقه كتابة سطرنجيلية مؤداها : « تشيد هذا البناء في زمان القس موسى النصيبيني رئيس الدير » . وقس عليها كتابات سطرنجيلية متعددة منقوشة في جدران الدير ايضاً .

وتشتمل كنيسة والدة الله : ١ — على ايقونة قديمة جداً تمثل العذراء مريم وعليها رسم خروف . ٢ — على جرن معمودية في وسطه صليب محفور كمألوف تقاليد السريان. ٣ — على ايقونات عديدة من العاج مطعمة بخشب صنوبر بينها ايقونة مار مرقس على حجاب الهيكل . ٤ — على صور الاثني عشر رسولا . ٥ — على صور السيد المسيح والعذراء مريم ومار مرقس وغيره . ٦ — على حوض ماء في الخورس الداخلي وفيه اعمدة من رخام .

وهناك قصر فخم ملاصق لبوابة الدير الكبرى ارتفاعه ١٢ متراً اشتمل

---

١) فهرس مكتبة دياربكر للسريان : مخطوط ٣٤

في سالف العصور على مكتبة الدير الشهيرة وفي اسفله طاحون[١] . وفي ساحة الدير البرانية شجرة عجيبة مشهورة بشجرة مار افرام السرياني تظلل اغصانها ابنية الدير باسرها وتتخلل اوراقها عناقيد زهور جميلة . وما برح رهبان القبط يتلون تحت الشجرة الافرامية صلواتهم الفرضية عند غروب الشمس[٢]

الفصل الرابع عشر

بعض كنائس السريان الكبرى في عصرهم الذهبي

أجمع المؤرخون وفي طليعتهم اوسابيوس القيصري (٢٦٥ – ٣٤٠م) ان النصرانية انتعشت خصوصاً في عهد قسطنطين الكبير (٣٠٦–٣٣٧ م) . فان ذلك القيصر الظافر وامه هيلانة الرهاوية السريانية انفقا ما انفقا من قناطير الفضة والذهب على تشييد الكنائس في اطراف مملكتها الشاسعة. واذا حصرنا الكلام بالبلاد السريانية قلنا ان كلا الملكين ابتنيا في المدن والعواصم كنائس فخمة اطلق المسيحيون على بعضها اسم « قاثوليقية » اي جامعة او اسم « بازيليقا » اعني ملكية لا يزال ذكرها او اثرها باقياً حتى الآن . واليك نبذة وجيزة عن كنائس السريان الكبرى في عصرهم الذهبي.

١ – كنيسة القسيان الكبرى في انطاكية

هي كنيسة مار بطرس مؤسس الكرسي الانطاكي دعيت « القسيان » فيما قبل تيمناً باسم الملك الذي نال ابنه الشفاء على يد بطرس رئيس الحواريين. وقد ابتناها قسطنطين الكبير ووالدته الملكة هيلانة الرهاوية بطول مائة

---

١) المشرق : مجلد ٢٣ سنة ١٩٢٥ صفحة ٥٨١

٢) رحلة الى صعيد مصر سنة ١٨٨٢ بقلم الاب ميخائيل جوليان اليسوعي : عدد ١٠ صفحة ٣٠

خطوة وعرض ثمانين خطوة(١ . وفي هذه الكنيسة الكبرى اقام البطاركة الانطاكيون حفلاتهم البيعية وفيها عقدوا المجامع . نخص بالذكر منها مجمع انطاكية المعروف باسم «مجمع التدشين» الذي حضره سبعة وتسعون اسقفاً وعلى رأسهم البطريرك فلاقلس (٣٤٢-٣٤٦ م) (٢

ولما منيت البيعة الانطاكية بالشقاق المؤلم الذي مزق وحدتها في القرن الخامس استقلت الفرقة الملكية بكنيسة القسيان حتى السنة ١٠٨٥ م . وفيها استولى عليها السلطان ابو الفتح وحولها الى جامع . ثم استرجعها الصليبيون لما فتحوا انطاكية في ٢ حزيران ١٩٤٨ ونصبوا بطريركاً لانطاكية من جنسهم يقال له برنردس . وعثروا في تلك البيعة عينها على الحربة التي طعن بها جنب يسوع الفادي .

وفي ذلك العهد انطلق بعض بطاركة السريان الى انطاكية ليتفقدوا ابناء ملتهم . فخرج الفرنج الصليبيون الى استقبالهم وادخلوهم الى كنيسة القسيان بابهة عظيمة . واجلسوهم على كرسي مار بطرس كما جلس عليه اسلافهم قبل عهد الشقاق المذكور . نذكر منهم البطريرك اثناسيوس السابع (١٠٩١-١١٢٩) وميخائيل الكبير (١١٦٧-١٢٠٠) ويوحنا السادس عشر (١٢٠٨-١٢٢٠) واغناطيوس داود (١٢٦٤-١٢٨٣) وغيرهم .

٢ - كنيسة والدة الله الكبرى في انطاكية

هذه الكنيسة الكبرى المثمنة الزوايا أسسها قسطنطين الكبير وامه هيلانة في انطاكية تيمناً باسم والدة الله مريم . وثابر العملة على الاشتغال في بنائها مدة خمس عشرة سنة . وجرى الاحتفال بتدشينها في ٦ كانون الثاني صباح عيد ظهور السيد المسيح على نهر الاردن (٣

---

١) نهر الذهب في تاريخ حلب : تاليف كامل الغزي : صفحة ٢٤٢
٢) مخطوطة الفاتيكان السريانية : صفحة ١٢٧
٣) تاريخ سرياني لمؤلف مجهول: صفحة ١٣٠ طبعة باريس عام ١٩٠٤ وتاريخ ابن العميد : مخطوطة دير الشرفة : رقم ١٦-٤

٣ ـ كنيسة أبجر الكبرى في الرها

أسس السريان هذه الكنيسة الملكية الفخمة على انقاض هيكل وثني ابتناه سلوقس الملك المقدوني في غربي الرها . وكان يشتمل على اسطوانات ضخمة من الرخام . فحوله السريان الى كنيسة وشيدوا فيه مذبحاً قدس عليه ادي الرسول اول قداس . وتقرب حين ذاك ابجر اول الملوك المسيحيين(١ وجميع من تبعه في النصرانية . ثم اطلق على تلك الكنيسة اسم «كنيسة ابجر الكبرى» او «كنيسة فاروقان» وهو لفظ سرياني معناه في العربية «مخلصنا»(٢ . وتعتبر هذه الكنيسة الابجرية الملكية ام جميع الكنائس وباكورتها في بلاد ما بين النهرين

٤ ـ كنيسة آجيا صوفيا الكبرى في الرها

عنيت الملكة هيلانة بتأسيس هذه الكنيسة العظمى في وطنها وبالغت في اتقان هندستها وزخرفتها حتى عدت في جملة عجائب الدنيا(٣ . وجرى ذلك في عهد ابثالاها مطران الرها (٣٢٤-٣٤٦م) . فاجزلت تلك الملكة لكنيسة وطنها تحفاً ملكية وامرت ان يدبج داخلها بالذهب والزجاج والمرمر . وان يرصع بيت القربان واعمدة المذبح وسائر اعمدة الكنيسة ومنبرها بفضة خالصة بلغ وزنها مائة واثني عشر الف رطل(٤ .

٥ ـ ٦ ـ كنيسة الرسل وكنيسة مار سرجيس في الرها

على اثر وفاة مار ربولا مطران الرها (٤١٢-٤٣٥م) خلفه المطران يهيبا (٤٣٥-٤٥٧م) الذي اشتهر برسائله وتصانيفه وشروحه . وهو الذي شيد في الرها كنيستين : اولاهما كنيسة الرسل التي كانت كما صرح المؤرخ الرهاوي من

---

١) ميمر مار يعقوب السروجي: عدد ١٨٠ مجلد ٥ صفحة ٧٣٨ طبعة بيجان
٢) تاريخ الرهاوي : مجلد ١ صفحة ٦٦ طبعة البطريرك افرام رحماني
٣) شرح المطرزي لمقامات الحريري : صفحة ٢٣٤ طبعة مصر
٤) تاريخ الرهاوي : فصل ٩٦ صفحة ١٤٤

ابدع كنائس الدنيا وافخمها . وثانيتها كنيسة مار سرجيس الشهيد شيدها عند الباب الشرقي على طراز كنيسة الرسل(١

٧ ـ كنيسة مار يوحنا المعمدان في الرها

ابتناها نونا مطران الرها (٤٥٧ ـ ٤٧١ م) في مطلع عهد مطرانيته على سوار عجيبة من الرخام الاحمر(٢ وكانت تشتمل على زهاء مائة نافذة مشبكة بقضبان حديدية يدخلها شعاع الشمس ولا تدخلها الطير . وقد شغلها الفرنج الصليبيون عام ١٠٩٨ ودبجوها باجمل زينة . ومع تداول الزمان احتلها المسلمون وحولوها الى جامع اطلقوا عليه اسم «جامع عين الزلخة».

٨ ـ كنيسة والدة الله الكبرى في الرها

هي من اقدم كنائس الرها وابدعها وأوسعها . وقد جدد بنيانها اثناس برجوميا الرهاوي في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي (٦٨٥ـ٧٠٥ م). وكان اثناس قابضاً على زمام الشؤون المالية في انحاء مصر من قبل الخليفة المذكور فجمع فضة وذهباً كالتراب . واقتنى عبداً ودوراً وحدائق وافرة وابتنى كنيستين للسريان في الفسطاط بمصر . وكان له في الرها مسقط رأسه ثلاثمائة حانوت وتسعة فنادق.

وشيد بالقرب من كنيسة والدة الله بيتاً للمعمودية اجرى المياه فيه ضمن اقنية خاصة . ثم زينه بمرمر مرصع ودبجه بذهب وفضة (٣ .

٩ ـ سائر كنائس الرها

ما عدا الكنائس الكبرى السابقة الذكر فقد أحصى المؤرخ الرهاوي

---

١) تاريخ الرهاوي : فصل ٤٣
٢) تاريخ الرهاوي : فصل ٤٣
٢) تاريخ الرهاوي : فصل ١٤٩ صفحة ١٨٩ ـ ١٩٠

كنائس أخرى عديدة شيدها السريان في الرها عاصمتهم (١. اما البطريرك ميخائيل الكبير فاقتصر على ذكر كنائس الرها التي دمرها العرب وهي(٢ :

١ ـ الكنيسة الكبرى . ٢ ـ كنيسة الرسل . ٣ ـ كنيسة مار توما. ٤ - كنيسة مار ميخائيل. ٥ - كنيسة مار قزما التي كان فيها المنديل المطبوع عليه وجه السيد المسيح. ٦ - كنيسة مار جرجس. ٧ ـ كنيسة الفاروق. ٨ - كنيسة والدة الله المعلقة . ٩ و ١٠ - كنيستان ايضاً باسم والدة الله . ١١ ـ كنيسة الاربعين شهيداً الكبرى. ١٢ - كنيسة ثانية باسم الشهداء الاربعين. ١٣ ـ كنيسة المعترفين : غوريا وشمونا وحبيب في باب الساعات. ١٤ ـ كنيسة مار اسطفان. ١٥ ـ كنيسة مار ثئودورس ازاء القلعة. اما كنيسة مار افرام فلم يحتلها العرب لانها خارج المدينة.

١٠ ـ كنيسة مرتمريم القاثوليقية في دمشق

اطلق السريان عنوان «قاثوليقية» على عدة كنائس كبرى ابتنوها في المدن الشهيرة. لانه كان يتقاطر اليها جمهور من شتى الشعوب النصرانية كالروم واليونان والفرس والارمن والاقباط والاحباش الخ. فدعيت كنيسة مرتمريم لهذا السبب قاثوليقية اي جامعة . ولفظ «مرتمريم» سرياني بحت معناه «السيدة مريم» وبهذا الاسم ذكر تلك الكنيسة يحيى الانطاكي مكمل تاريخ سعيد بن بطريق قال : «ثار المسلمون في دمشق فهدموا كنيسة «مرتمريم» القاثوليقية . وكانت كنيسة عظيمة كبيرة حسنة انفق فيها مائتا الف دينار ونهب ما كان فيها ... من حلي وستور» (٣

١١ كنيسة حلب الكبرى

ظلت هـذه الكنيسة الكبرى في حوزة السريان حتى القرن السادس ثم

---

١) تاريخ الرهاوي : فصل ٥٣ و ٤٥٢
٢) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٧٣٠
٣) تاريخ يحيى الانطاكي : جزء ٢ : صفحة ٨٣

استولى عليها الملكيون. وهي التي ابتنتها الملكة هيلانة الرهاوية ووصفها ابن الشحنة مؤرخ حلب بقوله : كان موقعها بستاناً للكنيسة العظمى في ايام الروم . وهي منسوبة الى هيلانة ام قسطنطين. وقال ايضاً : ان موقعها كان تجاه الجامع الغربي المعروف بالجامع الكبير . وكانت معظمة عند النصارى حتى قيل انه كان يقف على بابها يوم الاحد كذا و كذا بغلة لرؤساء النصارى من الكتاب والمتصرفين(١

١٣ ـ كنيسة الرقة القاثوليقية

أطلق على هذه الكنيسة ايضاً اسم « قاثوليقية » للسبب الذي ذكرناه آنفاً وبقيت عامرة زاهرة الى ما بعد القرن التاسع. وفيها عقد اساقفة السريان مجمعاً ورقوا الى الكرامة البطريركية الراهب ديونيسيوس التلمحري (٨١٨-٨٤٥م) وكان عددهم ثمانية واربعين اسقفاً. وذكر غير واحد من مؤرخي السريان كنائس غيرها بهذا العنوان « قاثوليقية » دلالة على فخامتها وضخامتها(٢

١٣ ـ كنيسة اوسابيوس الشهيد في سميساط

سميساط مدينة كبرى على شط الفرات كانت عامرة بالسريان لهم فيها مطران. واشتهر اوسابيوس مطرانها في القرن الرابع وابتنى كنيستها العظمى طبقاً لهندسة رسم له مساحتها ملاك سماوي. واستغرق بنيانها اربع عشرة سنة وكان المؤمنون في تلك الاطراف يبعثون اليها بالاحجار والاخشاب والكلس في الزوارق دون اجرة. ولما اكتمل بناؤها حضر تدشينها اساقفة عديدون في جملتهم مار يعقوب اسقف نصيبين(٣

١٤ ـ كنيسة والدة الله القاثوليقية في رومي قلعة

نضم الى الكنائس القاثوليقية السابقة الذكر كنيسة والدة الله شيدها

---

١) تاريخ حلب لابن الشحنة : باب ٩ صفحة ٦١ وباب ١٠ صفحة ٨٢

٢) مخطوطة دير الشرفة ٤ ـ ١ صفحة ٥٩٤ وعنوانها شرح الاسرار البيعية: مقالة لعازار برسبتا مطران بغداد

٣) اخبار الشهداء والقديسين: مجلد ٦ صفحة ٣٤١ و٣٥٦ طبعة بيجان

البطريرك يوحنا السادس عشر (١٢٠٨-١٢٢٠) في بلدة رومي قلعة الواقعة على ضفة الفرات. قال ابن العبري ما تعريبه «ان القس يشوع اخبر البطريرك يوحنا ان السريان ازداد عددهم في رومي قلعة. واصبحوا المتقدمين بين سائر النصارى واصحاب ثروة وهم محتاجون الى كنيسة تسعهم. فاوفد البطريرك من قبله مهندسين ووكلاء في اموال كافية فابتنوا في مدة قصيرة كنيسة مجيدة لفخر السريان. وابتنى هذا البطريرك عينه جامعاً للمسلمين استجلاباً لخواطرهم. وانطلق الى انطاكية وأدهش الفرنج بعطاياه. واشترى حرشاً فسيحاً في الناحية العليا من تلك المدينة وابتنى فيه كنيسة بديعة وقبة فاخرة لسكناه(١

١٥ ـ كنيسة مار يوحنا الكبرى في ملطية

كانت ملطية احدى حواضر السريان في القرون الوسطى لهم فيها عشرات الكنائس. وقد انشأوا هناك كنيسة كبرى اطلقوا عليها اسم مار يوحنا المعمدان «الساعي» قدام السيد المسيح. واصبحت تلك البيعة «مباءة» للعلم الديني واللغوي في اوائل المائة الحادية عشرة. وخبا نجمها في اوائل المئة الثالثة عشرة»(٢

١٦ ـ كنيسة سيس الكبرى

قام بهندستها عيسى الرهاوي عام ١٢٤٤ وتبرع بجميع نفقات بنيانها. وفيها رقي ابو الفرج ابن العبري المشهور الى الرتبة المفريانية بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٢٦٤ كما سلف القول ودعي غريغوريوس. وشهد تلك الحفلة الرائعة حاتم ملك الارمن واولاده وعظماء المملكة واساقفة السريان والارمن ورهط من العلماء(٣

١٧ ـ الكنيسة الخضراء في تكريت

كانت كاتدرائية فخمة شيدها المفريان دنحا الثاني (٦٨٨-٧٢٨) تيمناً باسم

---

١) تاريخ ابن العبري السرياني البيعي: قسم ١ في الكلام عن البطريرك يوحنا
٢) تاريخ العلوم والاداب السريانية: للبطريرك افرام برصوم: صفحة ٢١
٣) تاريخ مختصر الدول: طبعة الاب صالحاني: ترجمة المؤلف

سالفه احودامه اول المفارنة الذين سكنوا تكريت . ثم اطلق عليها اسم «الكنيسة الخضراء» واتخذها المفارنة منذ القرن الثامن مركزاً لهم فبالغوا في تزيينها وتنميقها . الا انها نهبت في السنة ١٠٨٩ ونزعت املاكها وحلاها الفاخرة واستحلها الفاتحون وملكوها. وما برحت اطلالها مائلة الى الآن (١

الخلاصة

هذا نزر من الكنائس السريانية القديمة العهد التي ورد ذكرها تحت عنوان « كبرى » او « قاثوليقية ». ولو شئنا التوسع في وصف سائر الكنائس المهمة التي ابتناها السريان في المدن والدساكر لطال بنا المجال. وفي ما كتبناه مؤونة كافية للدلالة على ما كان لهم في عصرهم الذهبي من المكانة والبسطة والثقافة فضلاً عن كثرة عددهم.

ولا نرى ان نغمض عن ذكر كنائس متعددة ابتناها السريان في مدينة واحدة او قطر واحد. فما عدا بعض كنائس الرها التي اثبتنا اسماءها كنيسة فكنيسة وما عدا كنائس طور عبدين وجبل الازل الوافرة العدد فان السريان انشأوا في مدينة ملطية وحدها ستاً وخمسين كنيسة بقيت الى القرن الحادي عشر. وبذلك شهد الانبا ميخائيل القبطي اسقف تنيس الذي زار البطريرك يوحنا بن عبدون (١٠٠٤-١٠٣٠) في كرسيه بالمدينة المذكورة[٢] . وعلى رغم ما تهدم من كنائس السريان بالزلازل والحروب ونوازل الدهر فقد بقيت لهم عام ١٢٣٦ عشرون الف كنيسة كما كتب كيرلس الثالث البطريرك القبطي الى البطريرك اغناطيوس الثالث السرياني في القرن الثالث عشر(٣

---

١) جثالقة المشرق ومفارنة السريان: للخوري اسحق ارملة رقم ٤٠ و٦١ ومجلة المشرق في الموصل : لصاحبها الراهب بولس بهنام (سنة ١ صفحة ٨٩ - ٩٠)

٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس: مجلد ٢ سنة ١٩٣٤ صفحة ١٩٨

٣) اللؤلؤ المنثور: صفحة ٤٧٧

الفصل الخامس عشر

الفنون الجميلة عند السريان

التطريز والتصوير والنقش

راجت عند السريان اسواق الفنون الجميلة كالنقش والحفر والتصوير والزخرفة والتطريز والهندسة والموسيقى وتجويد الخط فأتقنوها منذ اقدم العصور وبرعوا فيها . ولعلهم فاقوا غيرهم من الشعوب بما خلفوه من الآثار المستبدعة في الفنون المذكورة . وما برحت بعض معاهدهم القديمة فضلاً عن متاحف الشرق والغرب تشتمل على طرائف من تلك الذخائر النفيسة مما يدهش العقول ويبهج الابصار . وكلها تبرهن عما وهبهم الله عز وجل من الحذق والنباهة والاتقان في العمل . وهاك ما تيسر لنا الوقوف عليه من هذا القبيل في مطالعاتنا الكثيرة وابحاثنا الدقيقة :

اولا ـ رداء سنعاري ملكي مطرز بالذهب

مما سطره الكتاب المقدس عن فنون السريان الآراميين رداء سنعاري نفيس ورد ذكره في سفر يشوع بن نون (١ وقال عنه يوسيفس المؤرخ «هو رداء ملكي موشى بالذهب» (٢ . اما سنعار فهي برية بلاد ما بين النهرين منها خرج ابراهيم الى ارض كنعان . وكان ابرهيم آرامياً كما نص الكتاب المقدس (٣

ثانياً ـ تصاوير وكتابات آرامية سريانية في كنيس دورا

خلف السريان القدماء آثاراً جمة برهنت على براعتهم في التصوير والنقش لا في ابنيتهم فقط بل في ابنية غيرهم من الشعوب . فمن اروع آثارهم الفنية ما

---

١) سفر يشوع بن نون ٧ : ٢١

٢) قاموس الكتاب المقدس : تاليف الدكتور جورج بوست : صفحة ٤٨٠

٣) سفر التكوين ١١ : ٣١ و١٢ : ١

حفظ في كنيس اليهود يرتقي عهد بنيانه الى السنة ٥٥٦ للاسكندر . وقد اكتشف ذلك الكنيس في مدينة دورا ونقل بأجمعه الى دار الآثار بدمشق . فتعهدناه بنفسنا ودهشنا بما شاهدناه فيه من زخرف وجمال واتقان . ولفتت نظرنا خصوصاً تصاوير جميلة و كتابات آرامية قام بها مصور سرياني .

ومما رسمه ذلك المصور بريشته على جدران الكنيس صورة خروج بني اسرائيل من مصر وصورة موسى الكليم والعليقة الملتهبة في حوريب وصورة حلم يعقوب ابي الاسباط وصورة زيارة ملكة سبا لسليمان الملك . وقد لون المصور السرياني تلك الصور العجيبة بلون احمر غامق ونقش ايضاً في سقف الكنيس على لوحتين كتابات آرامية سريانية (١

ثالثاً - تصاوير السريان في كنائسهم اللبنانية

١ - كنيسة مار شربيل في معاد

كان للوثنيين في قرية معاد هيكل على اسم المشتري حوله احد اغنياء السريان الرهاويين(٢ المقيم في لبنان الى بيعة مسيحية . واطلق عليها اسم مار شربيل شهيد الرها وطنه. وعلى جدران هذه الكنيسة رسمت صور جميلة عدت طرفة من طرف الايام. غير ان مرمميها الجهلة في الاعوام الاخيرة عبثوا بآثارها القديمة ومحقوا صورها ونقوشها النفيسة(٣

٢ - كنيسة مار ثيودورس في بحديدات

من اقدم كنائس السريان في لبنان كنيسة مار ثيودورس الشهيد في بحديدات وهي مزدانة برسوم جميلة وكتابات قديمة : منها صور الكاروبيين يحملون بين ايديهم تسبحة التقاديس الثلاثة مكتوبة بحروف سطرنجيلية وهناك

---

١) مجلة Illustration في باريس : تاريخ ٢٩ تموز ١٩٣٣

٢) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره واسره : للخوراسقف يوسف داغر : صفحة ١٣٠

٣) تسريح الابصار : للاب هنري لامنس : جزء ١ صفحة ٨٥ - ٨٧

صور غيرها تزينها كتابات سطرنجيلية ايضاً تعرف اسماء الاشخاص المصورين فيها(١ . ولا حاجة الى التصريح بان هذه الكنيسة القديمة كانت في حوزة السريان قبل ان يتولاها الموارنة(٢

٣ ـ كنيسة مار جرجس في اهدن

بنى السريان هذه الكنيسة في اوائل النصرانية في لبنان واطلقوا عليها اسم مار جرجس ومار ابحاي وستنا السيدة في اهدن(٣ . وزينوها بصور جميلة تحاكي صور بيعة مار شربيل في معاد ومار ثئودورس في بحديدات ومار كور كيس في رشكيدا (٤ ولما امتلكها الموارنة بتوالي الازمان اطلقوا عليها اسم مار جرجس فقط

٤ ـ كنيسة مار كور كيس في رشكيدا

هناك كنيسة رابعة انشأها السريان بلبنان في سالف الايام . وهي كالكنائس الثلاث السابق ذكرها نقشت على حيطانها صور لا تقل اتقاناً وجمالا عن صور تلك الكنائس .

وقد شرحنا اخبار هذه الكنائس الاربع بالتفصيل الوافي في كتابنا «السريان في لبنان» (٥ وسننشره في وقت قريب ان شاء الله تعالى

---

١) تسريح الابصار : جزء ١ صفحة ٨٧ – ٨٨
٢) نقلاً عن مخطوط قديم في مكتبة الخوري ميخائيل صائغ الموصلي ورد فيه : ان المفريان اغناطيوس صليبا رقى الشماس بهنام قسيساً على بيعة مار ثئودورس في بحديدات بلبنان بتاريخ ٢٤ حزيران ١٥٦٧ للاسكندر (١٢٥٦ ميلادية)
٣) فهرس مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ٥٢
٤) لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره واسره : صفحة ١٣٠
٥) السريان في لبنان : جزء ١ قسم ٦ : فصل ٥ رقم ١ و٣ وفصل ٧ رقم ٢ وفصل ٨ رقم ١

رابعاً ـ تصاوير السريان في كنائسهم بالعراق

١ ـ تصاوير كنيسة المفارنة الكبرى في تكريت

تكريت مدينة في العراق بين الموصل وبغداد تعد احدى عواصم السريان وقاعدة مفارنتهم. وكان لهم فيها شأن عظيم دون سائر المدن فشيدوا فيها كنائس جمة: اكبرها وافخمها كنيسة مار سرجيس ومار باخس التي قام بتأسيسها المفريان بريشوع (٦٦٩-٦٨٤) . وعني كثيراً بزخرفتها وزينها بتصاوير رائعة تبهر الابصار حتى اصبحت كما قال المفريان ابن العبري من اظرف الكنائس وابدعها . واحتوت على اضرحة بعض المفارنة وقد حفر على كل منها في السطرنجيلية اسم المفريان المدفون فيه وتاريخ سيامته ووفاته . ولم يسمح المفارنة للنساطرة ان يشيدوا لهم كنيسة في تكريت حتى القرن الثامن فابتنوا عام ٧٦٧ كنيسة على شاطىء دجلة خارج سور المدينة(١

٢ ـ تصاوير كنيسة السريان في بغداد

من الكنائس التي تجلت فيها براعة فن التصوير كنيسة بغداد السريانية الكبرى في عهد الخلفاء العباسيين . فانها احتوت من عجائب الصور ما أدهش الناظرين وقد قصدها الناس من الافاق(٢

٣ ـ تصاوير كنيسة مار بهنام بالموصل

سبق لنا في الفصل الثالث عشر وصف الصور البديعة الباقية حتى اليوم في كنيسة دير مار بهنام الشهيد المشيد في القرن الرابع بجوار الموصل. فنكتفي هنا بالاشارة اليها ونحيل القارىء الى مطالعتها في مكانها

---

١) المشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٣٦٧-٣٦٨ نقلاً عن الجزء الثاني من تاريخ ابن العبري الكنسي

٢) معجم البلدان : لياقوت : مجلد ٤ صفحة ١٤١

خامساً - تصاوير كنائس السريان في طور عبدين

١ - تصاوير كنيسة دير قرتمين

اوردنا في الفصل السابق وصف هذه الكنيسة النفيسة . وهنا نكرر القول انها كانت تشتمل على صور الانجيليين الاربعة ورموزهم اعني الانسان والاسد والثور والنسر . وكانت مزدانة ايضاً بثلاثمائة صورة تمثل فيها حياة السيد المسيح واعماله ومعجزاته(١

٢ - تصاوير كنيسة قلث

هذه الكنيسة المشيدة على اسم الرسول مار سمعان القناني في قرية قلث بطور عبدين اشتهرت بقدمها ولاسيما بالتصاوير المدبجة في جدرانها . ولم يزل بعضها واضحاً والبعض الآخر طمسه الزمان(٢

٣ - تصاوير كنيسة والدة الله في حاح

تعتبر هذه الكنيسة من اجمل كنائس طور عبدين والطفها واعرقها في القدم . يعلو سوقها قبة شاهقة فخمة يليها قدس الاقداس . وهي على شكل صليب مزدانة بصور كثيرة ونقوش وافرة . ووراء مذبحها كوى ثلاث رسمت عليها زخارف متنوعة (٣

٤ - تصاوير كنيسة مار شمعون في حبسناس

يتقادم عهد بناء هذه الكنيسة الى القرن السابع . ويعلو قدس الاقداس فيها رواق شاهق دبجت حجارته بنقوش بديعة تلفت الانظار (٣

---

١) مخطوطة دير الشرفة : رقم ١١-٦
٢) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٥٧٥ (سياحة في طور عبدين)
٣) سياحة في طور عبدين (المشرق: مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٦٧)

٥ ـ تصاوير كنيسة عرناس

بنيت هذه الكنيسة الكبرى فوق رابية في بلدة عرناس وتعرف بكنيسة والدة الله ومار بسوس ومار قرياقس وامه يوليطي . وهي تضارع كنيسة حبسناس بهندسة بنائها ونقوشها وزخارفها وتصاويرها (١

سادساً ـ تصاوير ديري الكرسي البطريركي وزخارفها

١ ـ تصاوير دير مار برصوم في ملطية وامتعته

من جملة الاديار التي اقام فيها بطاركة السريان دير مار برصوم بجوار ملطية . وهو دير عظيم انشىء عام ٧٩٠ للميلاد وصار كرسياً بطريركياً في القرن الثامن حتى اواخر القرن الثالث عشر . وقد تفانى البطاركة باتقان هندسة ابنيته وتجميله بالصور والزخارف(٢ . نذكر منهم البطريركين ميخائيل الكبير (١١٦٧ ـ ١٢٠٠) واغناطيوس الثالث (١٢٢٢ ـ ١٢٥٢) ذلك فضلاً عما حواه من مخطوطات وافرة وامتعة واوان بيعية ثمينة .

وكتب اغناطيوس الثالث في وصيته لدير مار برصوما صليباً كبيراً من الذهب ومروحتين فضيتين وحلة حبرية نفيسة وثلاث حلل حبرية حريرية وبطرشيلات فاخرة ومصنفات بديعة وكوز فضة للميرون وراس عكاز ذهبياً وكتاب سيامات كهنوتية بخط سلفه ميخائيل الكبير . ذلك عدا ما كتبه من النقود لملك قيليقيا الارمني والكهنة وغيرهم .

٢ ـ تصاوير دير الزعفران

اصبح دير الزعفران مركزاً لبطاركة السريان منذ اوائل القرن الثاني عشر . غير انهم لم يستقروا فيه الا من عهد البطريرك اغناطيوس الخامس

---

١) سياحة في طور عبدين (المشرق: مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٦٧٤)

٢) تاريخ الرهاوي جزء ٢ صفحة ٣١٥ ـ ٣١٦ وميخائيل الكبير: صفحة ٦٤٢

(١٢٩٣ - ١٣٣٣) المعروف بابن وهيب . ولم يزل كذلك على رغم اضطرار بعضهم الى السكنى خارجاً عنه لدواع استثنائية.

اما كنيسة الدير فتشتمل على بعض الصور ولاسيما صورة مار حنانيا شفيعه. ومذبح الكنيسة خشبي مطعم بنقوش زاهية جميلة. وعلى بابها الغربي كتابات سطرنجيلية محبوكة بزخارف ملونة. وفي صدر الكرسي البطريركي اسماء جميع البطاركة مرسومة بالسريانية بشكل دوائر منذ الرسول بطرس الى هذا الزمان. وحوى دير الزعفران مذبحاً جميلاً نقشت على طرفيه بحروف سطرنجيلية ضخمة آيات من الاصحاح السادس عشر لانجيل متى الرسول ابتداء من قوله «وجاء يسوع الى نواحي قيسارية فيلبس» حتى قوله «وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي»

سابعاً - تصاوير السريان في مصاحفهم

مثلما نبغ السريان في تنميق الاقمشة والاخشاب والجدران والعاج بالصور والزخارف نبغوا كذلك في تزيين المصاحف باروع الرسوم وابدع الخطوط. وقد خلفوا منها عدداً وافراً تتباهى به المتاحف والمكتبات شرقاً وغرباً . انما اكتفينا هنا بالالماع اليها فقط لاننا افرزنا لها فصلاً خاصاً حوى وصفها وبيان مزاياها

ثامناً - مشاهير المصورين السريان

١ - منمق انجيل ربولا ومصوره

أقدم مصور سرياني وقفنا له على آثار في هذا الفن هو الربان ربولا الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس. فانه تولى رئاسة دير مار يوحنا في زغبة ونمق سنة ٥٨٦ ميلادية الانجيل الرائع المعروف باسمه في مكتبة فلورنسا وزينه بالصور النفيسة. وسنذكر في فصل لاحق مزايا هذا الانجيل وخبر منمقه العلامة

٢ - سويرا سابوخت († ٦٦٧ م)

مهر في العلوم الفلكية وصنف فيها كتاباً زينه بصور البروج والكواكب(١

١) المستشرق ساخو : المقالات السريانية غير المطبوعة صفحة ١٢٧ - ١٣٤

٣ ـ منمق انجيل قرقوش ومصوره

هذا انجيل سطرنجيلي ثان امتعنا النظر برؤيتـه واعجبنا ببراعة الراهب مبارك بن داود البرطلي الذي افرغ مواهبه في تنميق صحائفه ووشاها بالرسوم الباهرة. وسنتحدث بالتفصيل عن هذا الانجيل النفيس وعن براعة محبره في غير هذا الفصل.

٤ ـ سائر مشاهير المصورين السريان

ما عدا الربان ربولا الزغبي وسويرا سابخت والراهب مبارك البرطلي عثرنا على اسماء رهط من المصورين السريان خلفوا آثاراً نفيسة دلت على نبوغهم في هذا الفن. نذكر منهم على سبيل المثل الراهب شمعون والراهب يشوع والراهب يحيى في القرن التاسع[١] . والشماس يوسف الملطي (†٩٩٧م) الذي تميز بفن النقش والتصوير المزوق فضلاً عن التفنن في الخط . وفي ذلك جاراه الراهب يحيى اويعيش السبيريني في القرن الحادي عشر . والراهب سهدو الرهاوي سنة ١١٤٩م. ومثلهم الراهب القس بطرس ابن الشماس ابي الفرج سابا السبيريني نسـبة الى باسبرينا في طور عبدين ثم الراهب القس سهدو آل توما الطورعبديني. والمطران ديوسقورس ثئودورس امتاز بخطه السطرنجيلي النفيس وابدع خصوصـاً في التصاوير الملونة . ومن آثاره انجيل مصور في الخزانة الزعفرانية[٢] . وجاء بعد هؤلاء المصورين القس يوسف العرناسي (١٤٤٩) نسبة الى عرناس احدى قرى طور عبدين . والراهب دانيال القصوري (†١٥٥٧) نسبة الى قرية القصور الواقعة في جنوبي ماردين . والبطريرك اغناطيوس نعمة الله(١٥٥٧ – ١٥٧٦ – ١٥٩٠) وغيرهم .

---

١) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٨٧
٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤١١

الفصل السادس عشر

فن الهندسة عند السريان

بين الفنون الجميلة التي راجت سوقها عند السريان في عصرهم الذهبي فن الهندسة . فانهم برعوا فيه براعتهم في فن التصوير والنقش والزخرفة . وهذه معاهدهم العلمية والدينية التي استعصت رسوم اطلالها على الدهر تشهد لهم بطول الباع في تلك الحلبة . وهي مزية اهلتهم ان يكونوا بهندسة البناء في مستوى سائر الامم القديمة الراقية .

اولا ـ اتقان الهندسة في المعاهد السريانية

حسبنا ان نذكر من آثار السريان الهندسية كنائس الرها ولاسيما كنيسة آجيا صوفيا الملكية التي عدها مؤرخو النصارى وجغرافيو المسلمين من عجائب الدنيا(١ . واثبت ابن عساكر عن الوليد الخليفة الاموي انه لما اراد تجديد عمارة الجامع الاموي في دمشق التجأ الى ملك الروم ليوجه اليه مائة صانع . فاجتهد هولاء في بنيان الجامع وتزويقه وزخرفته حتى عد مع كنيسة الرها ومنارة الاسكندرية من جملة عجائب الدنيا(٢ .

ونضيف الى ذلك دير مار بهنام الشهيد بالموصل(٣ ودير مار برصوم بملطية الذي تفانى البطاركة ولاسيما ميخائيل الكبير في هندسة ابنيته وزخرفتها(٤ .

وقس على ما سبق الاديار الشهيرة التي بالغ منشؤها في هندسة ابنيتها .

---

١) تاريخ الرهاوي : جزء ١ صفحة ١٧٩ وابن حوقل : صفحة ١٥٤ و كتاب احسن التقاسيم لابي عبدالله المقدسي البشاري : صفحة ١٤١ وشرح المطرزي لمقامات الحريري : ٢٣٤ طبعة مصر.
٢) تاريخ ابن عساكر : مجلد ١ صفحة ٢٠٢
٣) مجلة الاثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨
٤) تاريخ الرهاوي : جزء ٢ صفحة ٣١٤ ـ ٣١٥

نذكر منها : دير قنسرين الذي اختطه يوحنا برافتونيا (+ ٥٣٨ م). ودير العمود الذي شيدته الملكة ثئودورا السريانية (+ ٥٤٨ م) بجانب مدينة الرقة. ودير البارد بجوار ملطية وكان ديراً فخماً فسيحاً اسسه البطريرك يوحنا التاسع (٩٦٥-٩٨٦ م) . ومنها دير مار دانيال في جبل المتينية شمالي ماردين جدد ابنيته المهندس الشهير يوحنا مطران ماردين (+ ١١٦٥ م) ولا تزال رسومه العظيمة ماثلةحتى اليوم (١

ثانياً - وصف كتبة المسلمين لبعض ابنية السريان

اذا القينا نظرة عامة على ابنية السريان في العراق ومابين النهرين وشمالي سوريا وجدناها مستوفاة اصول الهندسة والاتقان . فهناك شاعت طرائقهم الرهبانية شيوعها في وادي النطرون بمصر . وهناك كثرت المناسك والاديار التي تجاوز عدد المترهبين في بعضها المئات بل الالاف . وهناك كثير من هذه الاديار التي عني بعمارتها الملوك والامراء والاعيان واهل الثراء . نخص منها بالذكر «دير اللج» الذي شيده النعمان بن المنذر ووصفه ياقوت الرومي بقوله : «لم يكن في ديارات الحيرة احسن بناء منه» . ثم «دير الاعور» المنسوب الى النعمان الذي تنصر وزهد في الدنيا . ودير «الجرعة» المنسوب الى عبد المسيح بن بقيلة الغساني . ودير «هند الكبرى» شيدته ام عمرو بن هند «امة المسيح وام عبده وبنت عبيده»(٢ . وكان جميع مؤسسي تلك الاديار من السريان

ولا شك ان مشيدي تلك الاديار لم يدخروا وسعاً في اتقان بنيانها وحسن هندستها لانهم كانوا من ذوي المكانة والغيرة واليسار. وفي ما تبقى من آثارها حتى اليوم ما يشير الى فخامتها وعظم شأنها. وذكر الكتاب عشرات الاديار نعتوا بعضها باجمل النعوت. وهناك ما اثبته ياقوت عن دير الرصافة قال انه «من عجائب الدنيا حسناً وعمارة» (٣ .

---

١) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٥١٠

٢) معجم البلدان : لياقوت الرومي : مجلد ٢ صفحة ٧٠٩

٣) معجم البلدان : مجلد ٢ صفحة ٥٦.

وما قلناه عن اديار السريان يصدق بحذافيره على كنائسهم الوافرة العدد. فانها كانت غالباً هياكل واسعة الارجاء شاهقة البنيان ذات اسواق متعددة جامعة بين المتانة وحسن الشكل. وقد وصف الكتبة والشعراء المسلمون كنائس النصارى ومحاربها وصلبانها وما ازدانت به من النقوش والزخارف. وخص الهمذاني بالذكر في كتابه جزيرة العرب «كنيسة الباعوثة في الحيرة» وهي كرسي من الكراسي المطرانية عند السريان.

ثالثاً — عناية المستشرقين وعلماء الآثار بدرس هندسة المعاهد السريانية

لا يزال بعض كنائس السريان باقياً حتى الان على رغم كوارث الدهر. فاخذ المستشرقون وعلماء الآثار يدرسون هندستها ويبينون خواصها. منهم الكاتبة الانكليزية الشهيرة المس بل (Miss Bell) التي صنفت كتاباً ضخماً في وصف كنائس ما بين النهرين السريانية التي سبق عهد البعض منها فجر الاسلام. فترتقي الى القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح. وقد نشرت هذه الكاتبة صوراً كثيرة من تلك الكنائس في كتابها المشار اليه.

رابعاً — مشاهير المهندسين السريان

أثبت التاريخ اسماء كثيرين من السريان الذين تجندوا لهندسة المعاهد العلمية والدينية وخلفوا آثاراً شهدت لهم بالبراعة في هذا الفن. وممن اتصلت بنا معرفتهم:

١ — الراهبان شموئيل وشمعون اللذان شيدا سنة ٣٩٧ للميلاد دير قرتمين المشهور في طور عبدين(١

٢ — بطرس بن يوسف الحمصي اختط سنة ٤٨٠م دير مار بسوس وشيده بين افاميا وحمص وقد بلغ عدد رهبانه ايام عزه ستة الاف وثلاثمائة راهب(٢

---

١) اللؤلؤ المنثور: صفحة ٥١٢

٢) I. B. Chabot : La Légende de Mar Bassus et son Couvent

٣ ـ علي بن الخمار (+ ٩٧٧م) ابتنى قبة كنيسة القيامة في القدس الشريف وجدد كثيراً من الكنائس (١

٤ ـ يوحنا مطران ماردين والخابور (١١٢٥ ـ ١١٦٥) تميز بفن الهندسة وافنى عمره في عمارة المعاهد السريانية . فانه شيد وجدد اربعة وعشرين ديراً وبيعة في ابرشيته الفسيحة الارجاء . نذكر منها تجديده دير مار حنانيا المشهور بدير الزعفران وجلبه اليه المياه من ينبوع بعيد كما جلبها الى دير مار برصوم (٢ فطمحت الابصار الى هذا المهندس الخبير الذي سجل لنفسه ببيض اياديه ذكراً مخلداً وذاع صيتـــه عند ملوك ما بين النهرين واحرز بذلك شرفاً عظيماً وثروة واسعة انفقها في وجوه البر (٣

٥ ـ الربان حبقوق شيد في القرن الثاني عشر كنيسة دير فسقين على ضفة الفرات قرب دير مار ابحاي ببلاد جرجر وبالغ في هندستها واحكام بنائها

٦ ـ القس يوسف وابو الفضل وجبرائيل والاخ حسن اتقنوا سنة ١٤٧٠ للاسكندر (١١٥٩م) هندسة جانب من دير مار بهنام بجوار الموصل (٤

٧ ـ ابو سالم وابرهيم اخوه شيدا باب المصلى في دير مار بهنام المشار اليه (٥

٨ ـ عيسى الرهاوي كان نابغة في فن هندسة البنـاء وهو الذي تولى سنة ١٢٤٤ عمارة كنيسة «سيس» الكبرى وكانت من افخم الكنائس واروعها

٩ ـ المطران جبرائيل البرطلي (+ ١٣٠٠) كان له حظ من فن الهنـدسة. وهو الذي تولى بناء دير الشهيدين يوحنـــا ابن النجارين واخته سارا في برطلي سنة ١٢٨٤ (٦

---

١) يحيى بن سعيد الانطاكي : جزء ٢ صفحة ١٢٥ و ٢٤٠
٢ المكتبة الشرقية للسمعاني : مجلد ٢ صفحة ٢٣٠
٣) مجلة الحكمة : مجلد ٤ سنة ١٩٣٠ صفحة ٢٠١
٤) مجلة الاثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٩٦
٥) مجلة الاثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٩٣
٦) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٣٤

الفصل السابع عشر

فن الموسيقى عند السريان

اولا ـ الموسيقى في الكتاب المقدس

يتقادم عهد استنباط آلات الطرب والاغاني الموسيقية في الامصار الآرامية السريانية الى ابعد العصور التاريخية . فقد ذكر الكتاب المقدس ان يوبال بن لامك « كان اباً لكل ضارب بالعود والمزمار »(١ . وجرى مجرى يوبال كثير من الاقدمين رجالا ونساء كمريم اخت موسى الكليم التي اخذت دفاً بيدها وخرجت النساء كلهن خلفها بدفوف ورقص »(٢ الخ.

ثم تجلت صناعة الموسيقى في عهد الملك والنبي داود بكل مظاهرها . فكان هذا الملك يدعو الاسرائيليين ويحضهم ليترنموا قدام الرب « بكل آلة عز وبالاغاني والعيدان والطبول والدفوف والصنوج والابواق »(٣ وكثيراً ما حث بني قومه ليسبحوا الرب بصوت البوق والرباب والعود والدف والاوتار والمزمار والصنوج »(٤.

ونهج البابليون نهج الأجداد فاستعملوا « القرن والناي والعود والونج والصنج والمزمار »(٥ . وقس على ذلك سائر الامم القديمة المتحضرة.

ثانياً ـ أصل الموسيقى عند السريان

اول سرياني بحث تعاطى نظم اللحون والاغاني هو وافا الفيلسوف الذي عاش قبل التاريخ الميلادي. وقد ذكره انطون التكريتي الفصيح بما خلاصته

---

١) سفر التكوين ٤ : ٢١
٢) سفر الخروج ١٥ : ٢٠
٣) ١ ايام ١٣ : ٨
٤) مزمور ١٥٠ : ٣-٥
٥) دانيال ٣ : ٥ و٧

معرباً عن السريانية : «استعمل وافا الآرامي البحر الحادي عشر من الابحر السريانية الستة عشرة فاطلق عليه اسم «البحر الوافائي». وادمج فيه الناظم معاني غرامية وحربية جرى استعمالها في المآدب والاعراس. ولاجل ذلك اهمل اجدادنا هذا البحر ونبذوه ظهرياً»(١.

ونسج السريان المسيحيون على منوال اجدادهم الاقدمين فاتخذوا الاوزان الشعرية موقعة على آلات الطرب واستعملوها في كنائسهم ومجالسهم. هكذا شاعت بينهم صناعة الالحان او الموسيقى وذاعت في انحاء بلادهم. قال يعقوب البرطلي : «تشبث المسيحيون بترنيم المزامير وترديدها لا في الكنائس فقط بل في البيوت والساحات والطرق ايضاً. واستعملوا في انشادها الكنارات والقيثارات والدفوف والصنوج والابواق»(٢

وذكر التاريخ ان برديصان الارامي السرياني (١٥٤ – ٢٢٢ م) نظم مائة وخمسين اغنية حاذياً فيها حذو المزامير الداودية ووقعها على الحان شتى. فتمكن بتلك الوسيلة ان يجتذب قلوب سامعيها من ابناء وطنه الرهاويين ليذهبوا مذهبه في الشيعة الديصانية المنسوبة اليه.

عند ذلك هبت أئمة السريان المسيحيين وشعراؤهم العظام فشحذوا قرائحهم ونظموا اشعاراً ادبية وموشحات دينية عديدة. ووضعوا لها اوزاناً محكمة وقياسات مضبوطة ناهضوا بها اهل البدع وقضوا على اغانيهم الفاسدة.

ثالثاً – ناظمو الترانيم السريانية واساتذتها ومنشدوها

١ – مار افرام الكبير

في طليعة من اشتهر بنظم الانغام الموسيقية وتلحينها وتعليمها نذكر بالفخار مار افرام الذي اطلق عليه بكل جدارة لقب «صناجة الروح القدس».

---

١) الخطابة والشعر : تأليف انطون التكريتي : قسم ٥ عدد ٥ طبعة البطريرك افرام رحماني.

٢) كتاب الديالوغ : صفحة ١٧٨

فانه انشأ الشيء الكثير من الاغاني والترانيم التي استعملتها الكنائس السريانية شرقاً وغرباً في اعيادها وتذكاراتها وحفلاتها منذ كان في قيد الحياة. وضمنها معاني سامية وتعاليم صافية بعبارات سلسة جزلة تدب في النفوس كالسلافة فتسكرها وتهيم بها في العالم الروحاني.

وأشار هذا الامام في كثير من منظوماته الى استعمال آلات الطرب حين انشاده قصائده الرائعة فقال: «ان المشارق تعزف بالابواق والمغارب بالدفوف وانحاء الشمال بالقيثارات واطراف الجنوب بالكنارات» (١.

والى هذا العلامة الكبير نفسه يرجع نظم الاناشيد السريانية باوزانها المختلفة الوافرة. وتعد مداريشه الرائعة في اول طبقة منها. وتليها الابتهالات (التخشفات) فالبواعث الخ. وسياتي ذكرها.

وقد نظم الملفان مار يعقوب السروجي قصيدة عصماء عن النهضة المباركة التي قام بها مار افرام المعظم في اناشيده العجيبة قال ما مؤداه: «ان مار افرام كنارة الروح القدس ضارع موسى الكليم واخته مريم بتلقينه العذارى والفتيات ولفيف المؤمنين انغاماً محكمة بث فيها تعاليم الكنيسة الحقة واحرز بواسطتها اكليل الظفر والانتصار على اعدائها» (٢

٢ ـ اسوانا

نظم اسوانا اناشيد مؤثرة خصوصاً بالبحر السداسي واجاد فيها. نذكر منها مرثيتين بليغتين تترنم بهما الكنائس السريانية في جناز الموتى. وقد نشرهما البطريرك افرام رحماني في كتابه «الدروس السريانية» (٣

٣ ـ ربولا مطران الرها (✝ ٤٣٥ م)

الى هذا القديس الملفان ينسب نظم الابتهالات (التخشفات). وقد افرغها

---

١) فنقيث ٥ صفحة ٢٦٨
٢) اخبار الشهداء والقديسين: طبعة الاب بيجان: مجلد ٣ صفحة ٦٦٥-٦٧٦
٣) الدروس السريانية: مجلد ٥

في قالب جزل وضمنها معاني سامية. وبلغ عددها ثلاثمائة ابتهال في أوسع كتب الانغام واقدمها (١).

واشتهر هذا القديس الجليل بمناهضته بدعة نسطور حتى ان مار قرلس الاسكندري اطلق عليه لقب «عمود الحق». هذا عدا رسائله وخطبه وقوانينه المحكمة.

٤ – مار اسحق الانطاكي († ٤٦٠ م)

امتاز هذا العلامة القديس بدقة ابحاثه وبلاغة معانيه فنظم عدة قصائد سبكها بعبارات جزلة برهنت على رسوخ قدمه في شتى العلوم الدينية والفلسفية والبيانية والرياضية والطبية الخ. وله قصيدة عامرة الابيات عنوانها «التقاديس الثلاثة» بلغ مجموع ابياتها ٢١٣٦ بيتاً (٢)

٥ – مار يعقوب السروجي († ٥٢١)

اقتدى هذا العلامة الكبير بمار افرام الامام فنظم اناشيد جمة للاعياد السنوية ولتذكارات الرسل والشهداء والاولياء وشروح الكتاب المقدس الخ. منها ميمره في تكوين الخليقة وميمره في آلام السيد المسيح فقد اناف عدد كل منهما على ثلاثة الاف بيت تستعملها الكنيسة في الاسبوع الاول من الصوم وفي اسبوع الآلام العظيم. وقد اطلق عليه جمهور الكتاب بكل حق نعوتاً شريفة جمة فسموه «اكليل الملافنة» و «فخر العلماء». ونشر الاب بولس بيجان خمسة مجلدات من ميامره البليغة فضلاً عما نشره له من الميامر في مجلدات غيرها.

٦ – يعقوب الرهاوي († ٧٠٨ م)

أطلق على هـذا العلامة الهمام لقب «محب الاتعاب». واشتهر بغيرته الوقادة على حفظ القوانين البيعية. وصنف كتباً في مواضيع شتى ونقل عن اليونانية الى السريانيـة تآليف جزيلة الفائدة. ونظم مداربش بديعـة تنشد في

---

١) بيتكاز الشيخ : فهرس مخطوطات دير الشرفة : رقم ١ – ٥ صفحة ٨٥

٢) ميامر مار اسحق الانطاكي : طبعة الاب بيجان: صفحة ٧٣٧ – ٧٨٨

اسبوع الآلام. وحوى مخطوط « بيتكاز الشيخ » مدراشاً ابجدياً من نظمه في الحكمة والفلسفة (١. وليعقوب الرهاوي اليد الطولى في ترتيب الطقوس السريانية والحفلات البيعية.

٧ ـ سائر ناظمي الانغام السريانية واساتذتها وملحنيها

ما عدا من سبق ذكرهم قام عند السريان شعراء كثيرون نبغوا في نظم الترانيم وتعليمها فحفظ لهم التاريخ ذكراً جميلاً طيباً. نورد منهم اسماء قورلونا الرهاوي وماروثا الميافرقيني († ٤٢١ م) وبالاي الحلبي وشمعون القوقي وتلامذته ويوحنا براقتونيا († ٥٣٨ م) وفولا مطران الرها († ٦٢٤ م) وجورجي اسقف الكوفة († ٧٢٤ م) والبطريرك جرجي الاول (٧٥٨-٧٩٠ م) الخ.

رابعاً ـ اسماء الترانيم السريانية وتقاسيمها وعددها

تكملة للبحث الذي تحريناه في هذا الفصل عن فن الموسيقى عند السريان نسرد هنا اسماء ترانيمهم مع الالماع الى عددها ومزية كل منها. واعتمدنا في ذلك على مخطوطة دير الشرفة القديمة العهد الموسومة بعنوان «بيتكاز الشيخ» وهي اغنى مخطوطة من نوعها.

١ ـ المداريش

هي اقدم الاغاني السريانية عهداً وادقها معنى واعذبها ايقاعاً. نظمها مار افرام الكبير ووشحها بفني البديع والطباق. يبلغ عددها مائة وستة وخمسين مدراشاً (٢ لكل مدراش نغمة خاصة.

٢ ـ التخشفات

هي ابتهالات شجية خشوعية عددها ثلاثمائة ابتهال لكل منها نغمة

---

١) مخطوطة دير الشرفة: رقم ١ ـ ٥ صفحة ٩١
٢) المخطوطة الفاتيكانية : عدد ٩٥

خصوصية . تشتمل على تقريظ العذراء الجليلة والقديسين وعلى التوبة ومراثي الموتى الخ . انشأ بعضها مار مارونا مطران ميافرقين (✝ ٤٢١ م) وأغلبها مار ربولا مطران الرها (✝ ٤٣٥ م) واضاف اليها يعقوب الرهاوي (✝ ٧٠٨ م) وغيره من الآباء .

٣ ـ المعبرانات

المعبرانات ومعناها «المراحل» هي ترانيم رثائية رخيمة تنشد في تشييع الموتى . وعددها مائة وسبع مراحل .

٤ ـ السهريات

هي صنف من الترانيم العذبة يبلغ عددها في الصحف القديمة مائتين وخمس سهريات لكل منها ثماني نغمات او اكثر . أغلبها معروف اليوم ويترنم بها في الصلوات القانونية والاحتفالات البيعية .

٥ ـ البواعيث

البواعيث او الطلبات تقسم ثلاثة اقسام : افرامية ويعقوبية وبالائية نسبة الى افرام الكبير ويعقوب السروجي وبالاي الحلبي . ولنغماتها الثماني فروع شتى وعددها ثمانون نغمة . وهي باجمعها معروفة لهذا الزمان عند السريان.

٦ ـ العنيانات

العنيانات او الاجوبة تشبه الاراجيز وهي متساوية الوزن تنشد في الايام الاسبوعية والاعياد الاحتفالية والسيامات الكهنوتية . عددها سبعة وثلاثون تستعمل حتى الآن ويتقدمها غالباً آية من المزامير.

٧ ـ العونيثات

هذا الصنف من الترانيم له ردة خاصة يكررها الاكليرس والمؤمنون في نهاية كل بيت منها .

٨ ـ الغنيزات

معناها «الحجاب» تنشد حينما يسدل سجاف المذبح ولها نغمات عذبة لذيذة. احصاها بعضهم ٧٢ واحصاها غيرهم ٨٣ وغيرهم ١١٩ لكل منها نغمة خاصة.

٩ ـ الموربات

تفسيرها «التعاظيم» وهي مختصة بالعذراء مريم. سميت هكذا لورود لفظة «تعظم» في فاتحة تسبيحة العذراء المجيدة. وهي مرتبة على ثمانية الحان لكل منها خمس نغمات او اكثر. يبلغ عدد ابياتها في بعض الصحف مائتين وسبعة ابيات

١٠ ـ القوانين

نقلها السريان عن تآليف مار يوحنا الدمشقي والراهب قزما واندراوس الاقريطشي وخصصوها بالاعياد السيدية والآحاد السنوية. عددها ثلاثة واربعون قانوناً لكل منها ثماني نغمات مختلفة. وقد اضاف اليها بعض أيمة السريان كيعقوب الرهاوي († ٧٠٨م) وسعيد ابن صابوني († ١٠٩٥م). وغيرهما.

١١ ـ المعانيث

معناها «الاغاني» صنفها البطريرك سويرا الانطاكي († ٥٣٨م) ونقلها الى اللغة السريانية يوحنا برافتونيا رئيس دير قنسرين († ٥٣٨م) ويوحنا خليفته وفولا مطران الرها († ٦٢٤م) يوم كان في جزيرة قبرس. وقد نقحها يعقوب الرهاوي سنة ٦٧٥م على ما ورد في «بيتكاز الشيخ». ويبلغ عدد هذه المعانيث مائتين وخمسة وتسعين معنيثاً. بينها معنيث يقال في اول القداس السرياني نسبه بعضهم الى سويرا البطريرك وبعضهم الى يوسطنيان الملك زوج الملكة ثئودورا السريانية.

١٢ ـ القانسات

تفسيرها «المجالس» وعددها مائة وسبعون قانساً أغلب نغماتها مفقود. وهي مقسمة للاحاد والمواسم على مدار السنة.

١٣ ـ ٢٣ ـ سائر الترانيم السريانية

نضيف الى ما سبق اغاني اخرى مشهورة عند السريان هاك اسماءها :

الزومارات عددها ٧٢٨ زوماراً. الشوباحات اعني التماجيد. القوقليونات وهي آيات من المزامير تتخللها لفظة هللويه. العطور والمتون تنشد عند التبخير. المنادات تنشد في الاعياد الحافلة. المعيدات تتلى كذلك في المواسم. الادوار تنشد بعد تلاوة المزامير في صلاة الليل. الملحقـات تنشد بعد المزامـير او القوقليونات وتبدأ بالمجدلة اي المجد لله. ثم القصائد تنشد بين جوقتين على سبيل الخطاب والجواب. التهـاليل لها عشر نغمات رخيمة تنشد قبل ترتيل الانجيل. الاسطيخونات تسبق بآية من المزامير وتستعمل في طقس الميرون وسيامة الاحبار

خامساً ـ تباين الترانيم السريانية واختلافها بتوالي الاجيال

تسلسلت الالحان السريانية قديماً من افواه الاجداد الى الابناء والحفدة بطريقة التقليد. ولم تكن حين ذاك مقيدة بضوابط تصونها من التغيير والتلف. ولاجل ذلك طرأ عليهـا بعض الاختلاف في عرضها لا في جوهرها باختلاف اللهجات في البلدان والمدن والقرى. هكذا اصبح لبلاد ما بين النهرين نغمة غير نغمة بلاد الشـام وبلاد آثور . فنبرة الرها مثلاً غير نبرة نصيبين. ونبرة آمد (دياربكر) وميافرقين غير نبرة جرجر. ونبرة ماردين غير نبرة طورعبدين. ونبرة تكريت غير نبرة الموصل وبغداد وقراهما. وقس على ذلك نبرة حلب فهي تتفق مع نبرات حمص وحماة والنبك وصور وسواحل لبنان. وقد أنشد بعضهم قائلاً :

بجرجر نبرة والشام اخرى   وآثور وميـافارقينـا

ونرى في المخطوطات القديمة بعض علامات مختلفة الالوان تنبه المنشد ليرفع صوته او يخفضه . ولأغلب الالحان السريانية ولاسيما التخشفات والمراحل مدات في الصوت وليات ونبرات وعطفات يترنم بها ارباب الفن فيستعذبها المستمعون وترسخ معانيها في البابهم .

سادساً — آلات الموسيقى عند السريان

للسريان عدة آلات موسيقية استعملوها قديماً في اناشيدهم وانغامهم : منها آلات اتخذوها عن الكتاب المقدس وقد سبق لنا سردها في مطلع هذا الفصل . ومنها آلات استنبطوها هم وتفردوا باستعمالها في عصورهم السالفة وهاك اهمها : الكنارة المزدوجة . الدف المربع . القيثارة المفردة . المشروق او المشروقيث وهو نوع من الابواق . الزرناية . الصفارة . المدروول . الصافون وهو آلة موسيقية لها عدة انابيب . الناقوس وقد استعمله السريان اولا من خشب ثم استعملوه من معدن.

فهذه الآلات الموسيقية يعثر القارىء على اسمائها في تآليف السريان وشروحهم ومعاجمهم كمعجم بنبهلول الذي اقتبسه عن معجم حنين بن اسحق. ومنها معجم الربان ابدوكس الملطي ومعجم السروشي وغيرها.

ولما تسهلت المواصلات بين بلاد المشرق والمغرب اطلع السريان على علوم الشعوب الاوربية وآدابها وفنونها وعاداتها . فاقتبسوا أغلبها وفي جملتها فن الموسيقى . ولم يلبثوا ان استعملوا بعض آلات الموسيقى الافرنجية في كنائسهم وبيوتهم ومحافلهم . نذكر منها كنيسة السريان الكاثوليك في بغداد وكنيستهم في حلب . ففي كل منهما تستعمل الآلات الموسيقية في القداديس الاحتفالية والجمعيات التقوية والتطوافات داخل الكنيسة وظاهرها.

سابعاً — الموسيقى المدنية عند السريان

تحدثنا حتى الآن عن الموسيقى الدينية عند السريان اما الموسيقى المدنية فقد نبغ فيها عندهم جم وافر تفردوا برخامة الصوت واستعمال آلات الطرب. وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني اسماء رهط من اهل الحيرة اشتهروا في صدر الاسلام بالاغاني الشجية والضرب على الاوتار . اخصهم برصوما المزمر (١ وعون

---

١) الاغاني ٥ : ٣٤ و ٤٦

الحيري (١. ومنهم ايضاً حنين الحيري الذي عاش في عصر بني امية (٢ وغيرهم.

ثامناً – المؤلفون في الموسيقى في عصر السريان الذهبي وبعده

١ – سويرا سابخت († ٦٦٧)

اقدم من تعرض للكتابة عن فن الموسيقى عند السريان هو سويرا سابخت النصيبيني اسقف دير قنسرين (٦٣٨–٦٦٧ م). فانه وضع رسالة وافية بعث بها الى ايثالاها اسقف نينوى شرح فيها اصول الموسيقى وغيرها من الابحاث(٣

٢ – انطون التكريتي الفصيح

اشتهر انطون في الشطر الاول من القرن التاسع وهو اول من ابتكر قواعد للفصاحة والخطابة عند السريان. فأطلقوا عليه بكل جدارة لقب «بليغ» او «فصيح». وقد انشأ كتاباً فريداً في هذه الصناعة قسمه خمسة اقسام: أفرد القسم الخامس منها للشعر والموسيقى وهو القسم الذي نشره البطريرك افرام الثاني رحماني في مطبعة الشرفة.

٣ – يعقوب ابن الصليبي مطران آمد († ١١٧١ م)

خلف هذا المطران العلامة مؤلفات شتى انافت على الثلاثين: بينها كتاب «شرح القداس» ذكر فيه ان الكاهن السرياني قبل ان يرتل الانجيل في القداس الاحتفالي يجب على الشمامسة ان يعزفوا بالابواق والاعواد اقتداء باهالي المدن عندما يستقبلون الملوك والامراء والولاة (٤. وألمع ابن الصليبي في كتابه «الفصول العشرة» الى صناعة الالحان السريانية (٥.

---

١) الاغاني ٢ : ١٢٥ و ١٠ : ١٣٥
٢) المجلة الاسيوية الفرنسية : سنة ١٨٧٣ صفحة ٤٢٥–٤٣٣
٣) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٢٨٤–٢٨٥
٤) شرح القداس : لابن الصليبي : فصل ٥
٥) الفصول العشرة. فصل ٤

٤ – يعقوب البرطلي (✝١٢٤١)

لهذا المؤلف الجليل كتاب عنوانه « الموسيقى البيعية » بحث فيه الالحان وفنونها ومؤلفيها وزمان استعمالها في الكنيسة. وله مثل ذلك في الفصل ٣٨ من المقالة الثانية لكتابه المعنون « الكنوز ». وله فصل في كتابه « ديالوغو » تناول فيه البحث ايضاً عن الموسيقى (١

٥ – ابن العبري (✝١٢٨٦م)

ذكر هذا العالم الشهير في كتابه « الايثيقون » مقالا ضافياً عن الانغام السريانية الثمانية وفروعها وكيفية الترنم بها في المواسم والآحاد. واجاز استعمال الارغن احياناً في الكنائس السريانية (٢. واستناداً الى ذلك اتخذ مجمع دير مار متى عام ١٩٣٠ قراراً يجيز استعمال الارغن في اثناء القداس ولاسيما ايام الآحاد والاعياد الرسمية (٣.

٦ – البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم

نضم الى هؤلاء الجهابذة الاعلام صاحب الغبطة البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم الذي قضى معظم حياته بدرس العلوم والآداب السريانية. وقد كلف بفن الموسيقى كما صرح في مقالة له عن يعقوب البرطلي نشرها في المجلة البطريركية السريانية بالقدس. ثم اجاد كل الاجادة في ما حبره عن الموسيقى الكنسية وعن نشأتها ومشاهير المشتغلين بها. وافاض في سرد الترانيم السريانية المختلفة الاوزان فأربى عددها على الالفين والسبعمائة ترنيمة (٤.

---

١) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٠٥
٢) الايثيقون : قسم ٥ فصل ٣ صفحة ٦٤ – ٦٥ من طبعة الاب بولس بيجان
٣) مجمع دير مار متى : قرار ٧
٤) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٥٤–٥٦ و ٩٠ – ٩٣

تاسعاً - المؤلفون في الموسيقى السريانية والمشتغلون بها في عصرنا

قام بين السريان في عصرنا من اغرموا بالانغام البيعية واستنفدوا الوسع في صيانتها ونشرها. فرأينا ان ندرج اسماءهم ونلمع الى قسط كل منهم في هذه الصناعة :

١ - المطران اقليميس يوسف داود (١٨٧٩ - ١٨٩٠)

أولع بالموسيقى البيعية فنظم جوقة من ارباب الكهنوت وشبان الموصل وعلمهم الانغام الطقسية. ثم ألف نشائد بديعة على قدود رخيمة لأغلب اعياد السنة. ورتب قداساً حبرياً سريانياً على اصول الموسيقى الاوربية. وقد عني بكل ذلك عندما كان قساً في الموصل مسقط رأسه(١

وخلف المطران يوسف داود في ذلك مخطوطاً ضخماً رفعه هدية بنوبة الى البطريرك اغناطيوس فيلبس الاول عركوس (١٨٦٦ - ١٨٧٤)(٢

٢ - البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس شلحت (١٨٧٤ - ١٨٩١)

تفرد هذا الحبر الانطاكي بصوته الرخيم وشغفه بالترانيم السريانية . فالتقفها عن اشهر ارباب الفن في حلب والرها وآمد وماردين وطورعبدين والموصل وغيرها. ولقنها كهنة دير الشرفة وتلامذته فنشروها بدورهم في ابرشيات الملة . ولولا جهوده المشكورة في هذا السبيل لقضي على كثير منها. ومن اقتبسوا عنه تلك الترانيم : المطران اغناطيوس نوري. والخوري فيلبس شقال والقس افرام مصري والقس جبرائيل صالحاني والخوري يوسف اسطنبولي والخوري يوحنا حمصي والقس حنا بنابيلي الخ.

٣ - الرهبان البندكتيون الفرنسيون

في السنة ١٨٩٤ ارتحل البطريرك اغناطيوس بهنام الثاني (بني) الى رومة

---

١) القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة. لفيليب دي طرازي : صفحة ١١

٢) مخطوطات البطريركية السريانية

على اثر ارتقائه الى العرش الانطاكي. فزاره رئيس الرهبنة البندكتية العام وعرض عليه ان يقوم احد ابناء رهبنته بجمع الانغام السريانية وضبطها بالعلامات الموسيقية الفرنجية. ذلك ضناً بهذه الثروة الفنية الثمينة وصيانة لها من الضياع. فرحب ذلك الحبر الجليل باقتراح الرئيس واثنى على غيرته ومحبته للطقس السرياني

وفي السنة ١٨٩٦ كتب الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي في رومة يبشر البطريرك المشار اليه باتفاقه مع الاب جوليوس جنان البندكتي المشهور بتضلعه من فن الموسيقى للنهوض بالمشروع المار ذكره(١.

وفي السنة ١٨٩٧ قدم الاب جنان الى دير الشرفة وباشر مهمته في التقاط الانغام السريانية عن اشهر الاساتذة كالشماس انطون شبين والقس ميخائيل بصال الحلبيين ودونها بالعلامات الفنية. وقد شاهدنا الاب جنان بعيننا ناهضاً بهذه المهمة فاثنينا على نشاطه وغيرته وعلمه.

بعد هذا يمم دير الشرفة عام ١٩٠٩ الاب انسلمس شيباس لاسال والاب جوليان بوياد البندكتيان واكملا ما كان قد شرع به الاب جنان. ثم تولى الاب انسلمس عام ١٩٢٤ طبع الالحان السريانية بالعلامات الموسيقية وعاونه في ذلك الخورفسقفوس زكريا ملكي رئيس دير الشرفة. وبجز طبع هذا الكتاب عام ١٩٢٨ في ٧١٠ صفحات ما عدا مقدمة علمية تاريخية انشأها الاب جنان مؤسس المشروع ونشرها على حدة(٢. وقد اقتنينا نحن من هذا الكتاب النفيس نسخاً عديدة وزعناها على معاهد شتى.

٣ ـ الخوري اسحق ارملة

نشر على صفحات مجلة الآثار الشرقية مقالا ضافياً عنوانه «لمعة في المنظومات والاغاني السريانية» اتى فيه على ذكر اصلها واشكالها وقواعدها وضوابطها واوزانها واسمائها وعددها ومشاهير ناظميها(٣. ثم وقف على طبع

---

١) اجمل زهرة في حديقة آل هبرا : صفحة ٢٦ ـ ٢٧

٢) الرهبنة البندكتية في فلسطين : ١٣-١٤

٣) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٢٢٣ فما بعد.

كتاب الموسيقى الذي نشره الاباتي انسلمس المشار اليه وضبط الالفاظ والحركات السريانية.

٥ — الخورفسقفوس زكريا ملكي رئيس دير الشرفة

تلقى فن الموسيقى في الاكليريكية السريانية التي يديرها الاباء البند كتيون الفرنسيون بالقدس. وساعد رئيسها الاباتي انسلم في طبع كتاب الالحان السريانية كما ذكرنا. وما عدا ذلك فقد ضبط وربط بالعلامات الموسيقية ترانيم سريانية شجية لم تنشر بالطبع التقطها من هواة هذا الفن في بلدان شتى. ثم لقنها تلامذة الاكليريكية المذكورة واكليريكية الشرفة.

٦ — الخورفسقفوس جبرائيل حوري

عين وكيلاً بطريركياً في باريس عام ١٩٣٣ وتولى خدمة كنيسة مار افرام في شارع الكرم. وانصرف الى ضبط ترانيم القداس السرياني بالعلامات الموسيقية. وكتب الالفاظ السريانية بحروف لاتينية تسهيلاً لتعليمها لجوقة من الفتيان والفتيات المقيمين في باريس ليترنموا بها في الاعياد والمواسم الكبرى.

٧ — القس شمعون عبد الاحد

امتاز القس شمعون بصوت شجي رخيم فدرس الترانيم السريانية على خاله الخورفسقفوس زكريا ملكي فاحكمها غاية الاحكام. ثم علم الشبان والشابات بعضها والف منهم جوقة تقوم بترنيمها في الحفلات والمواسم.

عاشراً — مشاهير المرنمين ذوي الاصوات الرخيمة في عصر السريان الذهبي

نختتم هذا الفصل بذكر رهط ممن كلفوا بفن الالحان البيعية وامتازوا باصواتهم الرخيمة فبلغوا بها الى اوج الكمال. ونعتقد ان اغلب ناظمي الترانيم منذ مار افرام الكبير ومار اسحق ومار ماروثا ومار ربولا ولاسيما شمعون القوقي وتلامذته كانوا من اصحاب الاصوات الشجية. فلقنوها تلامذتهم وتلامذة

تلامذتهم جيلاً بعد جيل في البيوت والمدارس ولاسيما في اديار الرهبان(١ . وهاك على سبيل المثال بعض من اشتهروا برخامة الصوت واثبت ابن العبري اسماءهم في تاريخه :

١ ـ ايليا مطران كيسوم († ١١٧١) امتاز بنغماته الشجية وصوته العالي.

٢ ـ البطريرك ميخائيل الكبير († ١٢٠٠ م) تفرد بقد رشيق ووجــه صبيح وصوت جهوري ونغمات شجية. ٣ ـ ثئودورس مطران الرها اشتهر بصوته الحسن فاتقن نغمات القانسمات. ٤ ـ الربان ابو الفرج بن البشع عاش في اوائل القرن الثالث عشر وكان ذا صوت رخيم ماهراً في صناعة الالحان. فاحكمها غاية الاحكام ولقنها الكثيرين حتى استحق ان يسمى رئيساً لصفوف المرتلين في عصره. ٥ ـ المفريان صليبا الرهاوي (١٢٥٢ ـ ١٢٥٨ م) وصفه ابن العبري الذي خلفه في الكرسي المفرياني انه كان طيب المحادثة فصيحاً في السريانية والعربية متضلعاً من الطب والفلسفة بهي الطلعة رخيم الصوت.

حادي عشر ـ مشاهير المرنمين السريان في العصر الحاضر

ما عدا البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس شلحت الذي سبق لنا وصف صوته الرخيم فقد تفرد ايضاً فريق من ارباب الكهنوت بنغماتهم الشجية منهم : البطريرك اغنــاطيوس انطون سمحيري († ١٨٦٤) والمطران غريغوريوس متى نقار († ١٨٦٨) والمطران يعقوب متى احمردقنه († ١٩٠٨) والخوري ميخائيل صائغ († ١٨٢٨) والخوري اندراوس طرازي († ١٨٥٩) والخوري بطرس تفنكجي الآمدي († ١٩٠٩) والخوري ابرهيم معمار باشي († ١٩١٣) والخوري فيلبس شقال († ١٩٢١) والخوري جبرائيل دقـماق († ١٩٢٢) والقس بطرس فرجو والقس انطون ارملة († ١٩٢٩) والقس جرجس الرهاوي († ١٩٣١) والخوري يوسف اسطنبولي († ١٩٣٤) والقس ابرهيم حلوجي († ١٩٣٨) والقس حنا حسن . والقس ميخائيل هندو . والقندلفت ميخائيل بن فرج الله هندية († ١٩٤٣) الخ.

---

١) الاغاني ٢ : ١٤٦

واشتهر رهط كبير من ذوي الاصوات الرخيمة عند السريان الارثوذكس لم نتوفق الى العثور على اسمائهم. الا اننا عرفنا بنهم السيد ديونيسيوس بهنام سمرجي مطران الموصل (١٨٦٧ - ١٩١١) الذي كان له صوت يحاكي صوت العندليب اذا ما غرد على افنان الشجر (١ . ومنهم السيد غريغوريوس جبرائيل انطو الذي ارتقى سنة ١٩٢٣ الى كرسي مطرانية اورشليم وامتاز بنغمات شجية كان السامعون يذرفون الدموع لرقتها وجزالتها (٢

الفصل الثامن عشر

الخط السرياني

١ ـ استنباط الكتابة

لا شك ان الذي استنبط صناعة الكتابة أولى الجنس البشري منة عظيمة استحق من أجلها الشكر المؤبد. والرأي السائد بين العلماء هو ان الكتابة استنبطتها الامة الفونيقية التي سكنت في سواحل فونيقي المعروفة في يومنا بالسواحل اللبنانيـة. وهذا وحده كاف ليجعل للسريان حق الفخر باستنباط الكتابة. لان بلاد فونيقي كصور وصيدا وبيروت وجبيل الخ ليست الا بقعة صغيرة من بلادهم (٣

٢ ـ تلقين السريان صناعة الكتابة لسائر الامم

قال البحاثة اللغوي المطران اقليميس يوسف داود ما نصه : « جاء في صحف اليونانيين القدماء انه في نحو السنة ١٥٩٠ قبل المسيح وصلت الى ارض اليونانيين من بلاد الفونيين التي يقال لها فونيقي وهي اقصى ارض السريان

---

١) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٤ سنة ١٩٣٠ صفحة ٧٥
٢) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٤ سنة ١٩٣٠ صفحة ١٨٤
٣) اللمعة الشهية : للمطران يوسف داود : صفحة ٩٨ ـ ٩٩

غرباً ... فئة من الشاميين في مقدامها رجل اسمه قدمو وجلبت الى هناك صناعة الكتابة. وصار اليونانيون منذ ذلك الزمان يكتبون بالحروف السريانية الى يومنا هذا . وقد حفظوا الى الآن اسماءها السريانية بعينها وابقوها على ترتيب السريان. بل ان اليونانيين حافظون اسماء الحروف السريانية بالصيغة السريانية دون سائر الامم التي تعلمت الكتابة من السريان . ثم ان اليونانيين أبقوا الحروف على الصور التي كانت لها عند السريان يوم تعلموها منهم(١

٣ ـ العلماء وأصل الكتابة

أثبت العلماء ان الامم العريقة في الحضـــارة اقتبست صناعة الخط عن السريان. وهاك ما يؤيد ذلك : قال ديودورس الصقلي المؤرخ الشهير في القرن السابق للميلاد : «ان استنباط الكتابة يعود فضله الى السريان». وكتب اقليميس الاسكندري في القرن الثاني للميلاد : «ذهب كثيرون من القدماء الى ان السريان هم الذين استنبطوا الكتابة»(٢

وممن تناول هذا الموضوع الدكتور جايمس الانكليزي قال ما تعريبه : «كان كلما وصل الى يد تاجر سرياني آجر محفور بالكتابة المسمارية تناول قلمه وعلق على ذلك بالسريانية ما شاء تعليقه. اما في دوائر الحكومة فاذا كان الكاتب سريانياً دون المحاضر بقلم الحبر على ملف البردي. واذا كان الكاتب آثورياً دون كتابته بقلم قصب على الآجر. وبالجملة فان الحضارة السريانية خلفت في جميع الاماكن الشاسعة التي انتشرت فيها آثاراً خالدة(٣

٤ ـ فروع الخط الفونيقي السرياني

أقدم الخطوط او الاقلام المشتقة من الخط الفونيقي هو الخط الذي اصطلح عليه اليهود في عهد قورش ملك فارس (٥٣٨ ـ ٥٣٥ ق . م). وما زالوا

---

١) اللمعة الشهية : صفحة ١٠٦ ـ ١٠٧

٢) اللمعة الشهية : صفحة ١٠١ و١٠٢

٣) تاريخ العصور القديمة : للدكتور جايمس : صفحة ١٠٩

مصطلحين عليه دون سواه في كتابة الاسفار المنزلة وهم يسمونه « القلم المقدس » . وفي تقاليد اليهود ان عزرا الكاتب الشهير لما قدم نحو السنة ٤٥٧ ق.م من بلاد فارس الى اورشليم ادخل هذا الخط السرياني المربع في جميع اسفار الكتاب المقدس . لان امته كانت تفهم حين ذاك اللغة السريانية اكثر من العبرانية .

وهاك اسماء الاقلام او الخطوط التي تتفرع من الخط الفونيقي السرياني: ابدعها واجملها واشهرها بعد القلم المربع المذكور هو الخط السطرنجيلي الذي خصصه السريان منذ بدء النصرانية بكتابة الانجيل. ويشاهد منه عدة مخطوطات نفيسة ثمينة فى مكتبات الفاتيكان ولندن وباريس وبرلين واو كسفرد واميركا وفلورنسا الخ. ومن هذا الخط السطرنجيلي البديع الذي اشتهر خصوصاً في عصر السريان الذهبي نشأ خط السريان الملكيين ثم خط السريان المغاربة والموارنة. ثم خط الكلدان او السريان المشارقة . وهناك خط آخر سرياني خص به اهل فلسطين وله خواص تميزه عن سائر الخطوط السريانية.

ويطول بنا المجال لو شئنا نعدد اشكال الخطوط التي اشتقت من الخط السرياني الفنيقي الاصلي . الا اننا اكتفينا هنا بتعداد الخطوط التي انبثقت منه وهي :

١ ـ الخط اليهودي المربع. ٢ـ الخط الفونيقي او الساحلي. ٣ـ الخط اليوناني. ٤ ـ الخط اللاتيني. ٥ ـ الخط البابلي. ٦ ـ الخط النبطي. ٧ ـ الخط المندوي. ٨ ـ الخط التدمري. ٩ ـ الخط السطرنجيلي. ١٠ ـ الخط الملكي. ١١ ـ الخط الفلسطيني. ١٢ ـ الخط السرياني الغربي والماروني. ١٣ ـ الخط السرياني الشرقي او الكلداني. ١٤ ـ الخط الحميري. ١٥ ـ الخط الكوفي. ١٦ ـ الخط النسخي العربي.

ومن المعلوم ان الفرس ايضاً كانوا يكتبون بالخط السرياني فان خطيهم الزندي والبهلوي مأخوذان من الخط السرياني. وقس عليهم الارمن فانهم الى القرن السادس كانوا يكتبون بالخط السرياني . وكذا العرب فانهم تعلموا الكتابة من السريان... والخلاصة ان جميع الامم القديمة المشهورة تعلمت صناعة الخط الشريفة من الامة السريانية(١

١) اللمعة الشهية : صفحة ١٢٣ ـ ١٢٤

تكفي اذاً الامة السريانية هذه المزية الفريدة ليسجل لها التاريخ في صفحاته المجيدة باقلام ذهبية ذكرى منزلتها المثلى في الحضارة والثقافة . فقد اصبحت باستنباطها صناعة الخط مرجعاً لكل الامم المتحضرة حتى لقبت بكل جدارة «اميرة الثقافة» و «ام الحضارة»(١

٥ ـ الخطاطون والنساخ السريان

لو شاء احد ان يدقق في البحث عن جماهير الخطاطين والنساخ السريان لتعذر عليه الوقوف على اسمائهم فضلاً عن مصنفاتهم . ونعتقد ان عددهم ينيف دون مبالغة على عشرات الالاف . ولكن هي النوازل المتتابعة حلت ببلادهم فذهبت بالقسم الاوفر من تلك الكنوز الكتابية التي امسى فقدها وبالا على العلم والحضارة . غير انه رغم تلك النوازل حفظ عدد غير يسير من مخطوطات السريان في خزائن الشرق والغرب.

وللبطريرك العلامة افرام الاول برصوم جدول طريف الحقه بكتابه «اللؤلؤ المنثور» عدد فيه اكثر من ثلاثمائة خطاط عاشوا منذ القرن الخامس حتى القرن العشرين . وقد اطلع بنفسه على آثار الكثيرين منهم (٢ . وعثرنا نحن ايضاً على طائفة من الخطاطين والنساخ اشتهروا في مختلف العصور قديماً وحديثاً. وعلى سبيل المثال نورد اسماء بعضهم فيما يلي :

الربان ربولا في القرن السادس وهو منمق الانجيل المصور المحفوظ في مكتبة فلورنسا . وماروثا مفريان تكريت في القرن السابع. وسابا الراس‌عيني في القرن الثامن. وافريم الكفرتوثي في القرن التاسع. وروماتس تلميذ البطريرك اثناسيوس في القرن العاشر. والبطريرك يوحنا بن شوشان في القرن الحادي عشر. واغناطيوس رومانس مطران اورشليم ويعقوب ابن الصليبي مطران آمد والبطريرك ميخائيل الكبير وكريم بن حوشاب في القرن الثاني عشر. والبطريرك يوحنا السادس عشر ومبارك بن داود البرطلي في القرن الثالث عشر.

---

١) مجلة الاثار الشرقية

٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٤٨٥ – ٤٩٦

وجاء بعدهم الربان صليبـــا بن خيرون الحاحي في القرن الرابع عشر . والبطريرك يهنام الحدلي والبطريرك نوح البقوفاوي. وباسيليوس بن عبيد الصددي مطران حمص وفيلكسين جرجس بن قرمان مطران حردين وحماة وفيلكسين ابرهيم حديبان خليفته في الكرسي المذكور والقس مبارك الآمدي في القرن الخامس عشر. والمطران قرلس بشارة والمطران ديوسقورس ميخائيل والقس سهدو الكركري والقس اليان النبكي في القرن السادس عشر. والمفريان يهنام الباتي والخوري اصلان بن مربي الماارديني والمفريان شمعون المانعمي في القرن السابع عشر. والقس عبد النور الآمدي واثناسيوس اصلان الآمدي مطران دياربكر والاسقف اقليميس ابرهيم البازجي الصددي في القرن الثامن عشر. وغريغوريوس جرجس كساب مطران اورشليم والمطران عبد النور حداد الاربوي وغريغوريوس زيتون مطران مذيات في القرن التاسع عشر . والبطريرك عبدالله الثاني الصددي والقس يعقوب ساكا البرطلي والشماس متى بولس الموصلي في القرن العشرين الخ

٦ — نوابغ الخطاطين عند السريان الكاثوليك

نذكر في طليعتهم البطريرك اغناطيوس اندراوس الاول اخيجــان (١٦٦٢-١٦٧٧) وجاء بعده المطران ديونيسيوس رزق الله امين خان († ١٧٠١) والمطران غريغوريوس نعمة قدسي († ١٧٤٥). والقس عبد الاحد سفر الرهاوي († ١٧٢٠) . والمطران ايونيس ايليا عتمة († ١٨٨٩) والمطران يعقوب متى احمردقنه († ١٩٠٨) . والقس ايليا نحيت (١٨٢٥) والخوري افرام كرش مرش († ١٨٨٨) . والقس طوبيا يونان († ١٩١٦). والقس يوحنا قندلفت الرهاوي († ١٩١٥)

ومن نوابغ خطاطيهم ايضاً القس اسطفان سفر († ١٩١٦) وشقيقه القس اندراوس . والقس نعمان بطبوطه († ١٩١٧) والشماس انطون شبين. والقس بطرس سابا البرطلي. والخوري اسحق ارملة الذي نسخ اكثر من اربعين مجلداً بخطه السرياني فضلاً عما نسخه بالخط العربي . وامتاز روفائيل ابن شقيقه عبدالجليل ارملة بخطه السطرنجيلي البديع. والمعلم جرجس الرهاوي المتفنن في اشكال الخطوط السطرنجيلية والسريانية ورياض شدياق احد تلامذة دير الشرفة الخ.

الفصل التاسع عشر

قدامة المخطوطات السريانية ونفائسها المصورة والمزخرفة

لا نبالغ اذا صرحنا بان المخطوطات السريانية التي تحتفظ بها مكتبات الشرق والغرب هي من اقدم مخطوطات الدنيا واثمنها . وقد اتيح لنا ان نشرف على الكثير منها في اثناء رحلاتنا المتكررة الى ديار اوربا . فتحققنا ذلك بنفسنا واكبرنا جهود القائمين بجمع تلك الذخائر النفيسة وتنظيمها وصيانتها . وليست تلك الكنوز على وفرتها او قلتها الا نزراً مما خلفه الاجداد . فلو تيسر استقصاء ما ضاع او اندثر من المخطوطات على توالي الاعصار في شتى الامصار لفاق عددها حد الكثرة.

كيف لا وهذه معاهد السريان الثقافية التي عدت بالمئات • دع كراسي ابرشياتهم وكنائسهم الوافرة وخزائن ادبائهم وعلمائهم فهي اقوى دليل على صحة ما نقول . أضف الى ذلك كله العدد العديد من خطاطيهم الذين واصلوا الليل والنهار في نساخة الكتب وضبطها واتقانها وتنميقها وزخرفتها باكمل ما يكون من الدقة وسلامة الذوق.

وكان السريان يكتبون مخطوطاتهم الضخمة العجيبة في قديم الزمان على البردي او رق الغزال . ولاجل ذلك سبقوا فانشأوا معامل للرقوق في انحاء كثيرة من بلادهم ولاسيا في مدينة جبيل (بيبلوس) احدى عواصم الاراميين وفي الرها حاضرة السريان الاباجرة (١ وفي قرتمين بطورعبدين (٢ وغيرها. لان الكاغد لم يعرف عندهم الا منذ القرن الثامن او التاسع للميلاد . وبعد هذا الايضاح هاك وصفاً وجيزاً عن اقـــدم المخطوطات السريانية وعن نفائسها المصورة والمزخرفة :

---

١) كتاب الرؤساء : لتوما المرجي : ميمر ١ راس ٢٣ صفحة ٣٦-٣٧
٢) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٨٤٠

اولا – اقدم مخطوطات الكتاب المقدس

أقدم نسخة مخطوطة من هذا المصحف الكريم في اللغة السريانية هي نسخة الانجيل المعروفة باسم «النسخة السينائية» تمييزاً لها عن سواها. وقد نشر المستشرق بيركيت سنة ١٩٠٤ في كمبردج نصها مع ترجمة انكليزية.

وفي المتحف البريطاني بلندن خمس نسخ سطرنجيلية (١ من الكتاب المقدس منسوخة منذ السنة ٤٥٠ ميلادية. ثم نسخة في المكتبة الواتكانية مدونة في السنة ٥٤٨ ميلادية. ونسخة مصورة في فلورنسا يرتقي عهدها الى السنة ٥٨٦م وسيأتي وصفها

احصى الاب بولان مرتين خمساً وخمسين نسخة سطرنجيلية من هذا المصحف الثمين مكتوبة في القرن الخامس فالسادس فالسابع. يقابلها في القدم اثنتان وعشرون نسخة لاتينية وعشر نسخ يونانية فقط (٢. ونضرب صفحاً عن «الدياطسرون» السرياني الذي انشأه ططيان نحو السنة ١٧٠ للميلاد. وادمج فيه آيات الاناجيل الاربعة وافرغها في انجيل واحد (٣.

ثانياً – بعض مخطوطات سريانية عريقة في القدم

ما عدا مخطوطات الكتاب المقدس فقد احتوت المكتبات الكبرى بعض مخطوطات سطرنجيلية لا تقل عنها قدماً نذكر منها :

١ – الكلندار

هو تقويم للاعياد ولتذكارات الشهداء والقديسين على مدار السنة. منه في

---

١) المتحف البريطاني : رقم ١٤٤٥٩ و ١٧١١٧ و ١٤٤٥٣ و ١٤٤٧٦ و ١٤٤٨٠

٢) معجم الكتاب المقدس : تاليف فيغورو : صفحة ١٣٢ – ١٣٣

٣) تاريخ اوسابيوس القيصري : سفر ٤ عدد ٢٥

مكتبات الغرب والشرق نسخ جمة أقدمها مخطوطة المتحف البريطاني (١ المنسوخة في السنة ٧٢٢ للاسكندر الموافقة للسنة ٤١١ ميلادية

٢ ـ تاريخ اوسابيوس القيصري (+٣٤٠م)

نقل هذا التاريخ البيعي الى اللغة السريانية في القرن الخامس. ومن هذا النقل نسخة جيدة نسخت في السنة ٧٧٣ للاسكندر (٤٦٢م) وهي محفوظة في مكتبة بطرسبرج (لينغراد)(٢

٣ ـ سيرة مار سمعان العمودي الكبير (+ ٤٦٠م)

هذه السيرة المعتبرة كتبها قزما تلميذ مار سمعان العمودي في السنة ٧٨٥ للاسكندر (٤٧٤م). وهي تقع في اكثر من مائة صفحة(٣

ثالثاً ـ وصف انجيل ربولا

سبق لنا كلام وجيز عن الربان ربولا محبر هذا المصحف الثمين ومصوره. والان نرى ان نسترسل في وصف ذلك المصحف النادر المثال بياناً لما تفرد به رهط من ايمة السريان في فني التصوير والنقش.

فهذا الانجيل يعد تحفة من تحف الفن وهو اليوم محفوظ بكل حرص في الخزانة الماديشية بفلورنسا. وقد افاض في وصفه السيد اسطفان عواد السمعاني مطران افاميا سنة ١٧٤٢(٤. اما ناسخه وموشحه فهو الربان ربولا ولاجل ذلك عرف عند العلماء والمستشرقين باسم «انجيل ربولا» وانتهت نساخته في ١٥ شباط ٨٩٧ للاسكندر (٥٨٦م) في دير مار يوحنا بزغبة.

اشتمل هذا المصحف البديع على ست وعشرين صورة ملونة تعد من أدق

---

١) المتحف البريطاني: رقم ١٢،١٥٠
٢) نشر هذا التاريخ عام ١٨٩٧ الاب بولس بيجان في باريس
٣) سير الشهداء والقديسين: مجلد ٤ صفحة ٥٠٧
٤) فهرس مخطوطات فلورنسا: رقم ١

وأجمل ما رسمته ريشة مصور : فالصورة الاولى تمثل السيد المسيح محاطاً برسله . وهناك اسماء بطرس ويعقوب وتوما مكتوبة بحروف سطرنجيليـة . والصورة الثانية تمثل سيدتنا العذراء مريم منتصبة وحاملة يسوع ابنها على ذراعيها . وتمثل الصورة الثالثة امونيوس الفيلسوف الاسكندري واوسابيوس القيصري المؤرخ اللذين اشتغلا بدرس الكتاب المقدس وشرحه

وتمثل الصورة الرابعـة موسى الكليم وهرون اخاه ثم زكريا يبشره جبرائيل الملاك بميلاد يوحنا . وتمثل الصورة الخامسة يشوع بن نون والنبي سموئيل قاضي اسرائيل وبينهما صور العذراء مريم مع الآية الانجيلية «ها انا أمة للرب» وصورة جبرائيل الملاك مع الآية «السلام لك يا ممتلئة نعمة» وكلتـا الآيتين مكتوبتان في السطرنجيلية.

اما الصورة السادسة فتمثل داود الملك وابنه سليمان . ثم صورة ميلاد يسوع المخلص وصورة قتل الاطفال الخ . وقس على ذلك سائر الصور التي تمثل الانبيا هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا . ثم صورة مريم العذراء ويوسف خطيبها . وصورة مريم العذراء ونسيبتهـا اليشبع . ثم صور ناحوم وصفنيا . وايوب واشعيا . وحبقوق وحجاي . وزكريا وارميا . وحزقيال ودانيال . وملاخي واليشع .

وبعد تلك الرسوم الرائعـة صورة يوحنا الانجيلي وفي يديه كلتيهما درج حوى هذه الآية بالسطرنجيلية «في البدء كان الكلمة ...» وهي الصورة السادسة عشرة . اما الصورة السابعة عشرة فتمثل مرقس ولوقا الخ . وقس عليها صورة يسوع راكباً جحشاً منطلقاً الى اورشليم وهي بديعة جداً ... الخ

اما الصورة الثالثـة والعشرون فهي باكورة صور يسوع المصلوب في الكنيسة النصرانية . فقد افرغها المصور السرياني في قالب لطيف جميل لم يسبقه اليه مصور على الاطلاق(١ . ذلك انه صور يسوع المخلص معلقـاً على الصليب موشحاً بثوب ارجواني مذهب . ورسم حوله آلات الصلب وتعلو الصليب عبارة

---

١) المشرق : مجلد ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ٢٩٩

«يسوع الناصري ملك اليهود» في السطرنجيلية . ويلي ذلك صورة قيامة يسوع الفادي وصورة صعوده الى السماء وصورة حلول الروح القدس على الرسل الخ .

رابعاً — وصف انجيل قرقوش

حفظ هذا المصحف النفيس مدة اجيال في بيعة السريان بقرقوش احدى قرى الموصل الشهيرة . ثم نقل الى خزانة القلاية المطرانيـــة بالموصل . وفي السنة ١٩٣٨ حمله السيد قرلس جرجس دلال مطران الموصل الى رومة واهداه الى الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الذي أمر ان يحفظ في المكتبة الواتكانية . ثم تولت هذه المكتبة نشره بالطبع بياناً لمزاياه وتعميماً لفوائده .

وينطوي هـــذا الانجيل الفريد على ٤٧٦ صفحة طوله ٤٤ سنتمتراً في عرض ٣٣ سنتمتراً في سمك ١١ سنتمتراً . وقد كتبه الراهب مبارك بن داود البرطلي (١٢٢٠-١٢٣٩) بحروف سطرنجيلية مستبدعة . وزينه بأربع وخمسين صورة ملونة في غاية التأنق والاتقان .

افتتح الناسخ الاصحاح الاول بفصل الانجيل الذي يرتل في احد تقديس البيعة . فكتبه بحروف مذهبة طبقاً لنص الترجمة البسيطة . وجرى هذا المجرى في جميع فصول الاحاد والاعياد السنوية .

اما الصورة الاولى فتمثل موسى الكليم بيده قلم وفي اسفلها صورة يوحنا الانجيلي والى جانبها اوزة لطيفة هي من ابدع ما نمقته ريشة نقاش . والصورة الثانية تمثل زكريا الكاهن في مذبح البخور وجبرائيل رئيس الملائكة يبشره بميلاد يوحنا . والثالثة صورة العذراء والملاك جبرائيل . والرابعة صورة زيارة العذراء لاليشبع . والخامسة صورة زكريا بيده لوحـة مكتوب عليها بالسطرنجيلية «يوحنا اسمه» . والسادسة صورة يوسف خطيب مريم والمـــلاك . والسابعة صورة ميلاد يسوع المخلص . وقس على ذلك صور قتل اطفال بيت لحم وهرب يسوع الى مصر ورجم اسطفانس اول الشهداء ... ومار انطونيوس رئيس الرهبـــان وشمعون الشيخ . وعرس قانا الجليل . وابن ارملة نائين .

والسامري . والمرأة الخاطئة . . . وغسل اقدام الرسل والعشـــاء السري والقيامة والصعود ...

وهناك صورة رائعة تمثل قسطنطين الملك وامه هيلانة الرهاوية السريانية يتوسطهما صليب قد امسكه كل منهما بيمينه .

وجاء في آخر هذا المصحف البديع ما تعريبه : «انتهى الكتاب يوم السبت اول ايار سنة ١٥٣١ لليونان (١٢٢٠م). كتبه مبارك احد رهبان دير مار متى ابن صليبا بن يعقوب من قاسطرة برطلي... ووقفه مع بعض اوان لمذبح دير مار متى ومار زكي ومار ابرهيم بجبل الفاف...»

خامساً ـ وصف اناجيل يوحنا مطران ماردين والخابور (+١١٦٥م)

افرغ هذا المطران الهمام كل المساعي في تجديد دير الزعفران وتعزيز ارزاقه . واضاف الى ذلك اعتناءه بتجليد مخطوطات نفيسة صانها في المكتبة . ونسخ بيده اربع نسخ من كتاب الانجيل الكريم ورصعها بحروف ذهبية وفضية(١ . ونسخ انجيلاً ممتازاً لدير الزعفران . واجتهد في مشترى اوان بيعية من كؤوس واطباق ومباخر وصلبان ومراوح وبيوت قربان. واستحضر من الاسكندرية ثلاث كؤوس فاخرة منزلة بالميناء لا مثيل لها الا في قصور السلاطين والملوك.

سادساً ـ وصف انجيل بيعة السريان في صور

كان للسريان كنيسة في صور اطلقوا عليها اسم «بيعة مريم الجدلية وسمعان الفريسي». وكـانت تملك انجيـلاً سطرنجيلياً منسوخـاً عـام ١٤٦٠ للاسكندر (١١٤٩ م) على رق الغزال . كتبه الراهب سهدو الرهاوي في عهد البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩ ـ ١١٦٦) ووشاه بصور اثرية رائعة. وهذا الانجيل محفوظ في الخزانة المرقسية(٢ .

---

١) تاريخ دير الزعفران : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٧١
٢) مجلة الحكمة في القدس : مجلد ٢ سنة ١٩٢٧ صفحة ٤٣٥ ـ ٤٣٨

سابعاً — وصف انجيل البطريرك ميخائيل الكبير († ١٢٠٠)

ممن تأنق في الخط والتصوير واجاد فيهما كليهما البطريرك العلامة ميخائيل الكبير الملطي . فقد تفرغ لنسخ كتب جمة نذكر منها نسخة بديعة من كتاب الانجيل موه حروفها بماء الذهب والفضة ودبجها بصور شتى . ثم جعل ذلك المصحف الشريف ضمن صندوقة فضية مذهبة (١.

ثامناً — وصف انجيل البطريرك يوحنا السادس عشر (١٢١٥ — ١٢٢٠)

هو المعروف بيشوع الكاتب نصب بطريركا عام ١٢٠٨ مزاحماً للبطريرك ميخائيل الثاني (١٢٠٧ — ١٢١٥) ثم تأيد بعد وفاة سالفه المشار اليه عام ١٢١٥ في الكرسي البطريركي . كان قصير القامة ضعيف البنية نحيف الجسم . كتب لما كان راهباً انجيلاً بديعاً وشاه بماء الذهب وظل هذا الانجيل الى عهد قريب محفوظاً في دير الصليب بطور عبدين . ونسخ هذا البطريرك ايضاً في عهد رهبنته ثمانية عشر انجيلاً منها ثلاثة في حلب وفي باريس تحت رقم ٤٠ (٢.

تاسعاً — وصف انجيل القس باخس الحديدي الطواف (١٢١٣ — ١٢٥٧)

امتاز هذا القسيس بخطه الرائع وقد صانت لنا حوادث الدهر نسخة جميلة من انجيل دبجه بصور ظريفة شتى . وهذا الانجيل البديع محفوظ حتى اليوم في الخزانة المرقسية باورشليم وموسوم بالعدد ٢٨ ولهذا القسيس انجيل آخر بخط يده محفوظ في المكتبة الاهلية بباريس (٣.

عاشراً — وصف انجيل البطريرك بطرس هداية (١٥٩٨ — ١٦٤٠)

من المصاحف التي تستحق وصفاً خصوصاً انجيل بديع ثمين مكتوب

---

١) تاريخ الرهاوي الكنسي : صفحة ٨٩
٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٢٨
٣) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٢٩

بحروف سطرنجيلية كلها ذهبية وفضية . شاهده الرحالة ديلافالة عند البطريرك اغناطيوس بطرس هداية في قلاية حلب . وصرح بانه لم يشاهد انجيلاً مخطوطاً بحروف اجمل وابدع منه . بل لم يشاهد تذهيباً ونقشاً ادق واروع . وكان غلافه من مخمل مرصع بفضة وذهب. وقد استصنع البطريرك المذكور هذا الغلاف بدلا من الغلاف الاصلي الذي كان مرصعاً بالجواهر الكريمة التي لا تقدر بثمن(١ .

وهذا المصحف النفيس الراقي عهده الى القرن الحادي عشر قد التهمته النيران في حريق جرى بتاريخ ١٦ تشرين الاول ١٨٥٠ في كنيسة حلب السريانية وقلايتها (٢.

حادي عشر ـ وصف انجيل صلح

نضم الى ما سبق انجيلا بديعاً جداً طبقاً للترجمة الحرقلية كان محفوظاً حتى الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) في دير مار يعقوب بقرية صلح بطورعبدين. وهو مصحف كبير الحجم نادر المثـــال مخطوط بحروف سطرنجيلية رائعة على رق الغزال . واشتمل هذا المصحف على تصاوير ملونة نفيسة في جملتها صورة ربنا يسوع يصعد الى السماء . ويشاهد تحت الصورة المذكورة رسوم الرسل في وسطهم مار بطرس قد توشح دونهم بحلة الكهنوت (٣ .

ثاني عشر ـ وصف انجيل قلث

حوت كنيسة مار سمعان القناني في قلث بطورعبدين انجيلا سطرنجيلياً جميلا وفقاً للترجمة الحرقلية . نسخه الشماس مسعود في دير الزعفران عام ١٦٢٦ للاسكندر (١٣١٥ م) في عهد البطريرك اغناطيوس الخامس الشهير بابن وهيب (١٢٩٣ ـ ١٣٣٣). وقد زين الناسخ فصليه الاول والاخير بحروف

---

١) الاثار الخطية : للاب انطون رباط : صفحة ٣٨٨ - ٣٨٩
٢) السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية : صفحة ١٠٨
٣) المشرق : سنة ١٩١٣ صفحة ٦٧٢

ذهبية وملونة : اما الفصل الاول فهو من انجيل متى الرسول (١٦ : ١٣ – ١٩) حيث يقول يسوع لبطرس : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة أبني بيعتي » وانطوى الفصل الاخير على الفصل الحادي والعشرين من انجيل يوحنا وفيه يقول يسوع المخلص لبطرس راس الرسل : « ارع خرافي ارع نعاجي ارع كباشي »(١

ثالث عشر – ورابع عشر – وصف انجيلين في خزانة دير الزعفران

ذكر العلامة البطريرك اغناطيوس افرام برصوم نسختين من الانجيل الكريم مزينتين بتصاوير جميلة محفوظتين في خزانة دير الزعفران : احداهما صورها ديوسقورس ثيودورس (+١٢٧٣–م)(٢ . وكان هذا الانجيل النفيس قد حفظ مدة من الزمان في كنيسة الاربعين بماردين على عهد المطران توما قصير ثم اعيد الى مكانه الاصلي في الخزانة المذكورة .

خامس عشر – وصف اناجيل سريانية عند النساطرة

لدى السريان النساطرة بعض مصاحف مرصعة بصور فضية ومزينة كتابتها بنقوش بديعة تمثل اسرار حياة السيد المسيح من مولده الى قيامته وصعوده . وفي قوجانس مقر جثالقتهم انجيل مصور يعد من التحف الطريفة . وفي خزائن لندن وباريس اناجيل مثله اشتراها الانكليز والفرنسيس من النساطرة(٣

سادس عشر – وصف مصاحف سريانية في بطريركية الكلدان

في المكتبة البطريركية الكلدانية بالموصل مخطوطات منسوخة على ورق اسمانجوني من صناعة القرن الحادي عشر . تترصع فيه الآيات الانجيلية بمحلول

---

١) سياحة من بيروت الى الهند : للاب لويس شيخو (المشرق : مجلد ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٧٠٨) وسياحة في طورعبدين : للخوري اسحق ارملة
٢) نزهة الاذهان : صفحة ١٤٤–١٤٦ و كتاب « اللؤلؤ المنثور » صفحة ٤١١
٣) مقال المطران بطرس عزيز الكلداني (المشرق : مجلد ١٠ سنة ١٩٠٧ صفحة ٨٤٥) .

الذهب كأنها النجوم متلالئة في القبة الزرقاء(١. تلك مصاحف نادرة تدل على مكانة السريان قديماً في اتقان الكتابات المزخرفة والتضلع من الفنون الجميلة.

سابع عشر ـ وصف بيتكاز مصور في خزانة الشرفة

كتب هذا البيتكاز الجميل عام ١٦٩٠ السيد ديونيسيوس رزق الله امين خان (+١٧٠١) مطران حلب الذي قضى شهيداً في قلعة اطنة(٢. وقد دبجه ناسخه المفضال باربعين صورة ملونة : الاولى صورة يسوع الفادي فصورة العذراء مريم حاملة ابنها يسوع . ثم الحق بها صورة مار بطرس ومار بولس فصورة موسى الكليم فزكريا الكاهن فبشارة العذراء فزيارتها لاليشبع الخ . وانتهى الناسخ بصورة مار بوليان الشيخ صاحب دير القريتين(٣ .

ثامن عشر ـ وصف مخطوطات بالحرف الجرجري او الكركري

كان للسريان في مقاطعة جرجر الواقعة شمالي الرها عدة اديار عامرة امتاز رهبانها بخطوط دقيقة انيقة غلب عليها اسم «الخط الجرجري». ومن هذا الشكل مخطوطات شتى في مكتبات الشرق والغرب. واشهر الخطاطين في هذا النوع من الكتابة غريغوريوس الونكي الذي تولى مطرانية الرها(١٥٧٧-١٦٠٧) فقد كتب بخطه الدقيق المنمنم نحو عشرين مجلداً بينها اناجيل ومزامير فريدة في بابها. وتمتاز بعض مخطوطات هذا المطران بكون طول الصفحة منها لا يتجاوز غالباً سبعة سنتمترات. ومن هذا الشكل الجميل نسخة في الخزانة المرقسية بالقدس ونسخة في خزانة بوسطن في الولايات المتحدة(٤. وشاهدنا نحن في خزانة الشرفة بعض مخطوطات جرجرية قديمة تستحق الاعتبار.

---

١) مجلة النجم بالموصل : للقس سليمان صائغ : مجلد ١٠ سنة ١٩٣٨ صفحة ٢
٢) طالع ترجمته في كتابنا «السلاسل التاريخية» صفحة ٢٠٢-٢٠٤
٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : للخوري اسحق ارملة صفحة ١٠٠-١٠١
٤) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٣١

تاسع عشر — وصف سوسطاثيقونات مزخرفة ومصورة في خزائن الشرفة

عني بطـــاركة السريان منذ احقاب بعيدة بكتابة صك يسمونه «السوسطاثيقون» اي «كتاب العهد». يدفعونه الى الاسقف الجـديد لدى تقليده الولاية على احدى الابرشيات . فيحمله ذلك الاسقف الى ابرشيته ثم يدفعه الى كبير الكهنة كي يقرأه على ابناء الرعية عند دخوله اول مرة الى الكنيسة . وقد يبلغ طول السوسطاثيقون احياناً زهاء خمسين ذراعاً في خمسة وعشرين سنتمتراً . ويلف كالدرج حول خشبة مستديرة .

وفي خزائن الشرفة بعض سوسطاثيقونات بينها اثنان منمقان بضروب الصور والزخارف الرائعة واشكال الخطوط السريانية . احدهما سوسطاثيقون السيد ديونيسيوس ميخائيل جروة عند ما تقلد كرسي ابرشية حلب عام ١٧٦٦ ميلادية . فهو آية من ايات الابداع بخطوطه السطرنجيلية المتنوعة والوانها الزاهية والمذهبة(١ . اما السوسطاثيقون الثاني فيشتمل على صور ملونة تمثل بعض الملافنـة والاحبـار القديسين . وقد اهدينـاه نحن الى خزانـة الشرفـة سنة ١٩٢٦ ليحفظ بين ذخائرها الثمينة .

الفصل العشرون

مكتبات السريان في عصرهم الذهبي

عديدة هي المخطوطات التي نمقتها قديماً ايدي العلماء والمؤلفين والنساخ في اللسان السرياني . لان سوق المعارف كانت رائجة بينهم رواجاً عظيماً كما اثبتنا في فصول سابقة . فكان ذلك داعياً الى انشاء المكتبات الوافرة واقبال الخاصة والعامة على ارتيادها والانتفاع من كنوزها .

غير ان الرزايا الجسيمة التي حلت بديار الشرق في مختلف العصور اجهزت

---

١) الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية : صفحة ٥٠-٥١

على كل ما فيها ومن فيها فلم تبق ولم تذر . وحسبنا ان نذكر اسماء الطغاة زنكي وهولاكو وجنكزخان وتيمورلنك واشباههم ممن اعملوا السيف والنار في البلاد حتى جعلوها خراباً يباباً . هكذا تلفت تلك الذخائر العلمية التي صرف مؤلفوها وناسخوها والمولعون بها قروناً طويلة في وضعها وجمعها فذهبت كالهباء المنثور .

وقد احسنت صنعاً دول الغرب في التقاط ما تيسر لها من المخطوطات السريانية القديمة . فحرصت عليها في الخزائن والمتاحف صيانة لها من التلف وخدمة للعلم الشريف . ودلالة على كثرة تلك المخطوطات فقد احصى منها الاب شابو المستشرق الفرنسي ثلاثة الاف ونيفاً في سبع خزائن فقط من مكتبات اوربا(١. ولما كان يتعذر الالمام بمعظم مكتبات السريان في الامصار الشرقية وتدوين اخبارها مكتبة فمكتبة لوفرة عددها اكتفينا ان نلمع الى بعضها في ما يلي :

اولا — مكتبة الرها الملكية

بلغت مدينة الرها اوج المجد في عصر مدرستها الشهيرة الذي سماه العلماء «عصر الرها الذهبي» . واستمرت العلوم زاهرة في تلك المدرسة الذائعة الصيت حتى انطفأ سراجها الوهاج عام ٤٨٦ بامر زينون الملك . اما مكتبتها الملكية التي انشأها الملوك الاباجرة فكانت مرجعاً يؤمه الكتبة والائمة والادباء من مختلف الاقطار الشرقية والغربية . وينقلون عن مخطوطاتها الثمينة ما احتاجوا اليه .

قال اوسابيوس القيصري (٢٦٥ — ٣٤٠ م) امام المؤرخين ما تعريبه : «نرى في مصاحف الرها بينات نقلت عن الوثائق المحفوظة هناك منذ اصبحت تلك المدينة عاصمة المملكة (الابجرية) . وكانت تلك المصاحف تشتمل على اخبار الوقائع التي جرت من زمن الاسلاف حتى عهد الملك ابجر . وما برحت هذه المصاحف مصونة في الرها الى زمننا الحاضر (اعني الى القرن الرابع للميلاد).

---

١) الاداب السريانية : تاليف شابو : صفحة ٩ — ١٣

وعليه فلا نرى مانعاً يصدنا عن سرد هذه البينات التي نقلناها عن وثائق مكتبتها وترجمناها بالحرف الواحد من اللسان السرياني الى اليوناني» (١.

وقد احتاج غير واحد من مشاهير الكتبة والمؤلفين الى استنساخ الشيء الكثير من مخطوطات تلك المكتبة الملكية ومحفوظاتها. ولبثت المكتبة الرهاوية عامرة زاهرة في عصر السريان الذهبي يؤمها الطلاب ورواد الادب من كل ناحيــــة. ذلك ما حملنا على ان نتغنى بها في بيتين من الشعر نظمناهما واستكتبناهما بحروف ضخمة مفضضة وجعلناهما فوق مدخل دار الكتب اللبنانية التي انشأناها في بيروت وهما :

للكتب انشىء مقدس اوحى لنا — عصر الرها ومآثر المأمون
في بابه ازدحمت أساطين النهى — سعياً وراء الجوهر المكنون

وبتوالي الازمنة جدد السريان في الرها مكتبة حوت مخطوطات كثيرة نفيسة نقلوا قسما صالحاً منها من دير ابجاي المجاور لكركر الذي ظل عامراً حتى القرن الثامن عشر. وقد نسخ قسم من تلك المخطوطات على رق غزال بينهـا «تاريخ الازمنة» تأليف البطريرك ميخائيل الكبير ومواعظ يوحنا فم الذهب ومار باسيليوس القيصري وتصانيف اخرى نفيســـة. وعندما اجلى السريان كسائر النصارى من مدينة الرها عام ١٩٢٢ بامر الحكومة التركية نقلوا معهم تلك المخطوطات الى حلب والى غيرها من المدن التي استوطنوها.

ثانياً ـ مكتبة المفارنة في تكريت

لم تكن مكتبة تكريت اقل شأناً من مكتبة الرها. بل اغتنت بثروة علمية بفضل المفارنة السريان الذين تسلسلوا في كرسيها. واشتهر في تلك المدينة من العلماء ماروثا المفريان (†٦٤٩م) وانطون البليغ (٨٢٠م) ويحيى بن عدي (†٩٧٤م) ويحيى بن جرير واخوه الفضل وهما من اعلام القرن الحادي عشر وغيرهم.

---

١) تـاريخ اوسابيوس : قسم اول : جزء ١٢ صفحـة ٦٨ ـ ٦٩ من طبع الاب بيجان.

وكانت خزانة كتب المفارنة غاصة بالمخطوطات النادرة القديمة العهد. وعلى رغم اجهاز الغزاة البرابرة عليها فقد تمكن ادباء تكريت ان يخفوا منها ما استطاعوا اليه سبيلاً. وخيفة ان تلحق الرزايا بتلك البقيـة العلمية الاثرية نقلوا بعضها الى دير مار متى الشيخ بجوار الموصل وبعضها الآخر الى دير والدة الله في وادي النطرون بمصر والى غيرهما من الاديار.

ثالثاً – مكتبة آمد (ديار بكر)

ازهرت النصرانية في آمد منذ اقدم عصورها وعد كرسيها مطروبوليتياً في قيود الكنيسة السريانية. وجاء في اخبار مارا الثالث مطرانها († ٥٢٩ م) على ما صرح معاصره وابن وطنه يوحنا الآمدي المؤرخ(١ انه جمع خزانة كتب نفيسة عديدة نقلها تلامذته بعد وفاته ووضعوها في كنيسة آمد. ولما اتخذ بطاركة السريان في القرون الوسطى تلك المدينـة مركزاً لهم عززوا مكتبتها المشار اليها وأغنوها بالذخائر العلمية حتى اصبحت من اهم المكتبات. وممن صرف الهمة في ازدياد ثروة تلك المكتبة العلامة يعقوب الصليبي الذي تولى كرسي آمد من السنة ١١٦٧ حتى السنة ١١٧١ فاغنى تلك المكتبة بتصانيفه وبما جمعه مدة حياته من مؤلفات مشاهير الكتبة.

رابعاً – مكتبة مذيات

للسريان في مذيات حاضرة طورعبدين كنيسة باسم الشهيدة شموني اشتملت احدى غرفها على مخطوطات قديمة العهد مرصوفة بانتظـام نقلت اليها من شتى الاديار المجاورة. بينها مخطوطات على رق الغزال نذكر منها كتاب «ديدسقالية الرسل» وكتاباً نادر المثال ذكره الرحالة باري قال: من الذخائر النادرة التي لم يرو التاريخ مثلها مخطوطة ثمينة للانجيل كانت مصونة في مذيات. ويرتقي عهد كتابتها الى القرن التاسع. وهذه المخطوطة الفريدة المنسوخة على رق الغزال تحوي نص الانجيل باللغة اليونانية مكتوباً بحروف سطرنجيلية (٢

١) سير النساك الشرقيين: عدد ٣٥

٢) O. H. Parry: Six Monthe in a Syrian Monastry: 1895, p. 338

خامساً — اشهر مكتبات السريان في اديارهم

١ — مكتبة دير مار متى الشيخ

عدت مكتبة دير متى الشيخ من اقدم مكتبات الشرق عهداً واوفرها ثروة . وكانت غنية بالمخطوطات النادرة التي ذاع امرها في البلاد(١ . ومن اثمن ما انطوت عليه هذه المكتبة نسخة سطرنجيلية قديمة جليلة تدعى « هكسبلة » اشتملت على كتاب « العهد القديم » . ويوجد في كل صحيفة منها ستة اعمدة (٢ . ولما سمع طيمثاوس جاثليق النساطرة († ٨٢٣ م) بامرها كتب الى رئيس الدير(٣ . في استنساخها . ثم استعان الجاثليق بجبرائيل بن بختيشوع († ٨٢٨) كاتب ديوان الخليفة عبدالله المأمون وطبيبه في استحضار هذه النسخة الى بغداد واستكتابها . وكانت هكسبلة دير مار متى المشار اليها مكتوبة على رقوق بخط نصيبيني بديع . وما كاد يظفر بها الجاثليق حتى استدعى ستة نساخ ماهرين وكاتبين من جهابذة بغداد يمليان عليهم فنسخوها كلها بالشكل الكامل . ونقل الجاثليق عينه ثلاث نسخ عنها بخط يده (٤ .

وتتابعت غوائل الاكراد على دير مار متى عام ١١٧١ و ١٢٦١ و ١٢٨٢ و ١٣١٩ و ١٣٦١ فقتلوا عدداً عظيماً من رهبانه ونهبوا ذخائره وامتعته ومصاحفه الخطية فأمست اثراً بعد عين (٥ .

٢ — مكتبة دير قرتمين

اسس هذا الدير الفخم مار جبرائيل القسطني في السنة ٣٩٧ ميلادية وكان

---

١) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٧
٢) لهذه الهكسبلة نسخة في ميلانو طبعها بالنور والحجر العلامة تشرياني سنة ١٨٧٦
٣) رسالة طيمثاوس ٣٣
٤) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٨
٥) الدروس السريانية : للبطريرك افرام رحماني : مجلد ١ صفحة ٣٢ والمشرق : مجلد ٢٢ صفحة ٤٢٣ و ٥٢٠ و ٥٢٣

طلاب العلم والصلاح يتقاطرون اليه من شتى الاطراف . وبتوالي الازمنة حشد فيه رهبانه البالغ عددهم مائة وخمسين راهباً مكتبة ثمينة عظيمة أصبحت آية بغرائبها وعجائبها . واضاف اليها المطران شمعون الزيتوني († ٧٣٤ م) مائة وثمانين مجلداً . ثم نسج على منواله داود ابن اخته ويوحنا مطران الدير (٩٩٨ — ١٠٣٤ م) الذي جدد الكتابة السطرنجيلية بعد ما اهملت نحو مائة سنة . ثم الراهب عمنوئيل ابن اخي المطران يوحنا فقد كتب بخط يده على رق الغزال سبعين مجلداً من ترجمة الكتاب المقدس البسيطة والسبعينية والحرقلية ومن فناقيث الصلوات القانونية والميامر وغير ذلك من «المخطوطات التي لا مثيل لها في الدنيا» (١.

وفي السنة ١١٦٩ اضاف جبرائيل بن بطريق واليشع اخوه وموسى الكفرسلطي مائتين وسبعين مجلداً الى ثروة ذلك الدير الكتابية . وممن ساعد اولئك النساخ على تعزيز تلك الثروة سكان قرية قرتمين الذين كانوا يهيئون الجلود او رقوق الغزال لنسخ المخطوطات. وقد حلت بهذه المكتبة العامرة نوائب شتى عام ٥٨٠ م و ١٠٧٥ ولاسيما عام ١٠٨٩ فان الفرس نهبوها واحرقوا الدير ومكثوا اربعة وعشرين يوماً يعيثون فيه وتركوه قاعاً صفصفاً (٢.

٣ — مكتبة دير والدة الله في وادي النطرون بمصر

انشأ السريان في وادي النطرون ثمانية عشر ديراً عددها الخوري اسحق ارملة نقلاً عن اوثق المصادر (٣ . وجمعوا في اغلب تلك الاديار مكتبات حوت كنوزاً ثمينة جداً . ولولا غارات البربر الذين نهبوا جميع ممتلكات الرهبان وهدموا كنائسهم واحرقوا مساكنهم (٤ لتألف من تلك المخطوطات عشرات الآلاف بلا اقل مبالغة.

---

١) تاريخ ابن العبري السرياني : مجلد ١ صفحة ٤١٧

٢) سياحة في طورعبدين : نقلاً عن حجر مكتوب بالسطرنجيلية مركزه شمال الداخل الى الكنيسة.

٣) بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري : فصل ١٠

٤) كتاب «وادي النطرون» للامير عمر طوسون المصري صفحة ٤٢ — ٤٣

غير ان العناية الربانية شاءت ان تصان من تلك الذخائر النفيسة بقية في دير والدة الله المعروف بدير السريان بوادي النطرون . وهذا الدير تأسس قبل السنة ٦٠٣ للميلاد. وأخذ رهبانه يجمعون فيه مخطوطات قديمة العهد الفوا منها مكتبة اصبحت كما وصفها بعضهم «اشهر خزائن الكتب السريانية بل اقدم مكاتب الدنيا» (١ . وظل اولئك الرهبان يعتنون بتلك المكتبة ويضيفون اليها ما عز وجل من المخطوطات يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام.

وفي السنة ٩٢٧ م سافر القس موسى النصيبيني رئيس الدير الى بلاد سوريا وما بين النهرين فجمع مائتين وخمسين مجلداً من انفس المخطوطات واندرها واعتقها . ثم نقلها الى ديره عام ٩٣٢ وهناك ابتنى لها قاعة خصوصية ونظمها تنظيماً محكماً. ويرتقي عهد بعض تلك المخطوطات الى القرن الخامس والسادس للميلاد مما يندر وجوده اليوم في اعظم دور الكتب واهمها.

وجاء في بعض الحواشي انه بعدما نهبت الرها وآمد وملطية وغيرها من المدن الآهلة بالسريان جمع بعض ما سلم من مخطوطات خزائنها ثم نقلت الى دير والدة الله بوادي النطرون على خمسة عشر حمل بعير (٢

ظلت هذه المكتبة الثمينة في نمو وازدياد حتى أربى عدد مخطوطاتها في ذلك العهد على الف مجلد(٣ . وذكر القس توما المارديني انه شاهد عام ١٦٢٤ في تلك المكتبة «صحفاً كثيرة مكومة بلا حساب ولا عدد»(٤

وفي السنة ١٧٠٧ ارتحل القس الياس السمعاني الى دير والدة الله المشار اليه واشترى من الرهبان بعض مخطوطات سريانية نقلها الى المكتبة الواتكانية. ونحا نحوه العلامة يوسف شمعون السمعاني فتوجه عام ١٧١٥ وتعهد مكتبة ذلك الدير واشترى منها ما اشترى واستنسخ كتباً تعذر عليه اشتراؤها. لان الرهبان

---

١) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٢٤
٢) اللؤلؤ المنثور : صفحة ٢٤
٣) بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري : فصل ١٢
٤) فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني : رقم ٣٧٤

لم يكونوا يستغنون عنها ولو بوزنها ذهباً(١ . ثم شحن السمعاني ثلاث سفن من المخطوطات يقدر ما غرق منها بعشرة آلاف مجلد (٢ .

وفي السنة ١٨٤٢ قصد تلك المكتبة عينها المستر تاتام السائح الانكليزي « فاخذ ثلاثمائة قطعة من الخطوط اليدوية المكتوبة على رق غزال خلاف عدد عظيم من الكتب المهمة التي لا تقدر قيمتها ... ونقلها الى انكلترا »(٣ . هكذا اغتنت خزانة المتحف البريطاني بتلك الثروة العلمية السريانية واصبحت تباهي بها سائر خزائن الدنيا على الاطلاق. وما عدا ذلك فقد نقل من مكتبة دير والدة الله الغنية العجيبة مخطوطات جمة الى مكتبات الفاتيكان وباريس واوكسفرد وكمبردج وبرلين وميلانو والى بعض مكتبات الشرق.

وروى لنا مراراً العلامة البطريرك افرام رحماني ان الانكليز ابتاعوا من مخطوطات دير والدة الله ما يوازي ثقلها ذهباً. فكان الرهبان يضعون كل مخطوط منها في كفة الميزان وكان المستر تاتام يضع ذهباً في كفة الميزان الاخرى !

٤ ـ مكتبة دير سرجيسية

أسس السريان هذا الدير عام ٩٥٨ في جوباس بجوار ملطية تيمناً باسم الشهيدين سرجيس وباخس . وقصده العلامة الشهير يوحنا تلميذ مارون وتولى فيه منبر التعليم مدة اثنتي عشرة سنة . فتخرج عليه مؤلفون ونساخ عديدون اغنوا خزائن الدير بمؤلفات وافرة . واعتنى ايليا رئيسه بالكنيسة فزينها بالحلل والسجوف والمخطوطات السريانية والاواني الذهبية والفضية . ولما ازداد عدد الرهبان والطلبة ابتنوا في ناحية الدير الجنوبية طبقتين لسكنى الاساتذة والكتبة والنساخ والتلامذة . فذاع فضل الربان يوحنا وانتشر صيته بين ابناء ذلك العصر الذين اطلقوا عليه لقب « ملفان وبحر الحكمة » وحلت وفاته عام ١٠٠٣ (٤ .

---

١) السريان في القطر المصري : فصل ١٢
٢) خطط الشام : لمحمد كرد علي : مجلد ٦ صفحة ١٩٨
٣) الاقباط في القرن العشرين : تأليف رمزي تادرس .
٤) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٥٥٢ وتاريخ ابن العبري الكنسي : جزء ٢ صفحة ٤٠٣ و٤٠٧

٥ ـ مكتبة دير الزعفران

انشئت في القرن الثامن بهمة مار حنانيا مؤسس الدير . ثم جددها واضاف اليها يوحنا مطران ماردين الرهاوي (+ ١١٦٥م). وازدادت مخطوطاتها عندما صار الدير مقراً للبطاركة . واحتوت تلك المكتبة في ايام عزها على اسفار قديمة ضربت بها الامثال . بينها ما كتب على رق غزال بحروف سطرنجيلية . واثمنها مصاحف دبجت بصور بديعة ملونة .

ومن أثمن ما حوته المكتبة الزعفرانية : انجيلان سطرنجيليان مكتوبان على رق غزال . ومنها سبعة مجلدات ضخمة مكتوبة كذلك على رق غزال تضمنت ميامر مار يعقوب السروجي(+ ٥٢١ م). وشرح ايرثاوس. ونسختان من كتاب اخبار القديسين مكتوبتان بحروف سطرنجيلية . وغير ذلك من المخطوطات المكتوبة على الرق ايضاً

٦ ـ مكتبة دير مار مرقس في القدس

هي مكتبة قديمة العهد اعتنى بتكوينها وتعزيزها مطارنة الكرسي الاورشليمي . وأضيفت اليها في القرن الرابع عشر بقايا خزانة دير المجدلية بالقدس بعد اندثاره . واليها نقلت ايضاً بعض مخطوطات دير الزعفران بعد الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) وللبحاثة الربان يوحنا دولباني وصف دقيق لأهم مخطوطات الخزانة المرقسية نشره على صفحات المجلة البطريركية السريانية في اورشليم.

ومما حوته هذه الخزانة المرقسية ذخائر ثمينة مكتوبة على رق الغزال بخطوط سطرنجيلية بديعة عددها اثنان وثلاثون مجلداً . بينها ميامر مار يعقوب السروجي في ثلاثة مجلدات ضخمة تبلغ سماكة كل منها ٣٠ سنتمتراً في طول ٤٠ وعرض ٢٥ س. وتشتمل كل صفحة على خمسة حقول بخط جلي ظريف . اما فهارسها فهي مكتوبة في صفحات شتى مدبجة بالوان بنفسجية وحمراء وزرقاء وخضراء وبرتقالية الخ.

وحوت الخزانة المرقسية علاوة على ذلك صكوكاً ووثائق وحججاً قديمة العهد يحافظ عليها رؤساء الدير ورهبانه بكل حرص واجلال.

٧ - بقايا مخطوطات كنيسة مار بطرس ومار بولس في الرها

كانت هذه الكنيسة تشتمل على خزائن مخطوطات سطرنجيلية وسريانية غالية الاثمان قديمة الاجيال نادرة المثال . لكنها تضعضعت مع كرور الزمان ولم يبق منها الا النزر اليسير . وعندما اضطر الاتراك نصارى الرها ان يرحلوا عن وطنهم سنة ١٩٢١ نقل السريان بقايا مكتبتهم الى حلب. وجعلوا بعضها في موقف الكنيسة التي ابتنوها حديثاً وصانوا البعض الاخر في صناديق مقفلة اودعوها عند كبار اعيانهم . ومن جملة تلك المخطوطات: تاريخ ميخائيل الكبير وميامر مار افرام ومار يعقوب في السطرنجيلية وبعض مخطوطات السريان الملكيين الخ .

٨ - مكتبة دير الشاغورة في صيدنايا

انطوت هذه المكتبة على مخطوطات سريانية قديمة ثمينة حفظت فيها حتى اواسط القرن التاسع عشر. وكانت مصونة في خزائن دير الشاغورة او بالحري دير الشاهورة بالهاء بدلا من الغين وهي لفظة سريانية يراد بها الرهبان الساهرون في الصلاة واعمال العبادة. وظلت تلك المخطوطات الوافرة العدد ومعظمها من نفائس المؤلفات المكتوبة على رقوق الغزال مصونة في ذلك الدير حتى عهد رئيسته الحاجة كاترينا مبيض ووكالة والد الخوري ميخائيل كك والشخاشيري وجبران الميداني. فخشي الوكلاء من كثرتها ان تكون حجة بيد السريان يتقوون بها على اثبات حقوقهم على الدير. فاجمعوا على اتلافها باسرها. واخرجوها من خزائنها وكدسوها وجعلوا يحرقونها اولا تحت القناطر . ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير وخبزوا عليها خبزتين. وظلت النيران تشتعل في تلك المخطوطات اربعة ايام اذ كانت الخبزة تبتدئ مساء الخميس وتنتهي صباح السبت. خلا ما احرق منها تحت القناطر (١ .

---

١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها: تأليف حبيب الزيات: ص ١١٣-٢٢٠

ولم يسلم من تلك المكتبة العامرة الا بضع مخطوطات سبق المستشرقون والسياح فاشتروها وزينوا بها مكتباتهم في بلاد اوربا ولاسيما المكتبة الواتكانية. فيا للخسارة الباهظة ويا للجهالة !

٩ — بعض مكتبات السريان المندثرة

كان للسريان في عصرهم الذهبي مكتبات عامرة في اغلب اديارهم التي اربى عددها على المئات : كأديار جبل الرها وطورعبدين وجبل الازل وانطاكية ولبنان. نخص بالذكر منها : دير مار بسوس ودير تل‌عدا ودير اوسيبونا ودير كفربيل ودير الجب الخارجي في اطراف انطاكية. ودير مار يوحنا في زغبة ودير قنسرين ودير مار موسى الحبشي في النبك ودير مار بوليان الشيخ في القريتين. ودير تل‌بسم غربي ماردين ودير العمود قرب الرقة ودير قرقفتا عند راس العين ودير قنقرات بآمد ودير برصوما بملطية ودير ابن‌جاجي ودير زوقنين ودير مار بهنام بالموصل الخ. فهذه الديورة باسرها كانت تشتمل على مكتبات عظيمة مزدانة باقدم الصحف واثمن المخطوطات:

الفصل الحادي والعشرون

اشهر المكتبات السريانية في الزمان الحاضر

وعلاقة بعضها بالعصر الذهبي

نهض بعض الاحبار في القرون الثلاثة الاخيرة يفرغون الطاقة في احياء آثار السلف.. فوجهوا الهمم الى التقاط ما تبقى منها ثم اضافوا اليها مخطوطات حديثة كتبوها هم او استكتبوها احد الخطاطين. وانطوت تلك المخطوطات على مواضيع دينية وطقسية وتاريخية وعلمية الخ لا حاجة الى تعدادها. انما رأينا ان نلمع في هذا الفصل الى بعض تلك المكتبات التي حوت قسماً من المخطوطات السريانية بينها ما كتب في العصر الذهبي :

١ - مكتبة البطريركية السريانية في بيروت

عني بطاركة السريان الكاثوليك باحراز مخطوطات ثمينة جمعوها في مراكز اقامتهم كحلب وماردين والموصل وغيرها. ولما تولى الكرسي الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) وجعل مركز اقامته في بيروت انشأ في قلايته مكتبة معتبرة عدت من اهم مكتبات بطاركة المشرق. وقد جمع أوفرها خلال رحلاته المتواترة في العراق وما بين النهرين وسوريا ولبنان. نذكر منها على سبيل المثال: ١- مخطوطة على رق الغزال حوت بعض مداريش وميامر سطرنجيلية. ٢ - شرح مار افرام لنبوءة اشعيا. ٣ - شرح دانيال الصلحي لسفر المزامير. ٤ - ديدسقالية الرسل. ٥ - ميامر مار يعقوب السروجي. ٦ - انجيل ضخم طبقاً للترجمة الحرقلية دبجت هوامشه ببعض الشروح وكتبت عناوينه بحروف سطرنجيلية ملونة. ٧ - شرح ابن الصليبي للعهدين القديم والجديد الخ

ولما شيد الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل تبوني الصرح البطريركي عام ١٩٣٠ خصص بالمكتبة جانباً فسيحاً في الطبقة الثالثة يستوعب عشرات الالوف من المجلدات. ثم استحضر في الاعوام الاخيرة ما جمعه اسلافه في ماردين من مخطوط ومطبوع وضمه الى ما اقتناه سالفه المشار اليه. وبين ذلك كتاب رسائل مار بولس على الرق يرتقي عهده الى القرن الثامن او التاسع للميلاد. هكذا تألفت خزانة مخطوطات ومطبوعات ثمينة وافرة العدد تزين اليوم كرسي البطريركية في عاصمة لبنان.

٢ - مكتبة دير مار افرام الرغم بلبنان

ما كادت تنتهي عمارة دير مار افرام الرغم في الشبانية عام ١٧٠٥ حتى اخذ الرهبان يزينون خزانته بمخطوطات سريانية وعربية قديمة العهد. منها ما نقلوه من بلاد سوريا وما بين النهرين ومنها ما التقطوه من انحاء لبنان او نسخوه هم في ديرهم المذكور. غير ان اثمن تلك الكتب واقدمها ذهب فريسة النار في فتنة السنتين ١٨٤٠ و١٨٤١ ميلادية. وفي محفوظات دير الشرفة لائحة رسمية

رفعها الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير مار افرام المشار اليه الى والي سوريا عدد فيها ما اتلف واحرق من امتعة الدير ومخطوطاته. وذكر ان عدد المخطوطات بلغ اربعمائة وستة واربعين مخطوطاً وقدر قيمتها اربعمائة ليرة عثمانية ذهبية(١. ولم يسلم من تلك الكنوز الكتابية الا مجلدات معدودة سبق بعض الاحبار او الرؤساء فنقلوها الى دير الشرفة قبل حدوث الفتنة المذكورة.

٣ – مكتبة دير الشرفة في لبنان

نواة هذه المكتبة مخطوطات سريانية وعربية جمعها مـــار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) البطريرك الانطاكي (١٧٨٢–١٨٠٠) منذ عهد كهنوته. ونقلتهـا خمسة قوافل عام ١٧٨٦ على ظهر البغال من حلب الى دير الشرفة. وعلى اثر وفاة البطريرك المغبوط ضمت الى المكتبة مخطوطات جمة حتى أربى عددها على الف وستمائة مخطوطة. بينها اكثر من مائتي مخطوط اهدينـاها نحن اليها.

وتعتبر مكتبة الشرفة أغنى مكتبات لبنـان الخطية بلا جدال. وقد انشأ لهـا المؤرخ البحاثة الخوري اسحق ارملة فهرساً شاملاً بلغ عدد صفحـاته ٥٤٠ صفحة ونشره عام ١٩٣٦

٤ – مكتبة مار شليطا مقبس

دير ما شليطا هو باكورة اديار الموارنة في كسروان أسسه عام ١٦٢٨ القس حنا ابن المقدسي يوسف محاسب الغوسطاوي. واشتهر هذا الدير في عهد البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠–١٧٠٤) الذي اتخذه مركزاً لاقامته وابتنى فيه قلالي للبطاركة خلفائه عام ١٦٧٢ واستمر مقيماً فيه حتى قبيل وفاته سنة ١٧٠٤

ونقل هذا البطريرك الى خزانة مار شليطا مجلدات وافرة من المخطوطات

---

١) فهرس مخطوطات دير الشرفة: رقم ٩–١٦ صفحة ١٩٤

السريانية والكرشونية كانت في دير قنوبين. ثم عززها البطريرك يعقوب عواد (١٧٠٥ - ١٧٣٣) اذ اقام في هذا الدير من السنة ١٧٠٦ حتى وفاته. وعلى مر الايام لعبت الايدي بمخطوطات هذا الدير حتى كادت تندثر. فاستدرك البطريرك الياس الحويك (١٨٩٩-١٩٣٢) أمر تلك المكتبة واوفد الخوري بطرس شبلي خازن المكتبة البطريركية الى ذلك الدير فاستحضر بقية المخطوطات والمطبوعات ونضدها في خزانة بكركي.

واهم تلك المخطوطات السريانية وأقدمها عهداً: مصحف انجيل جميل في السطرنجيلية نسخ عام ١٣٠٢ للميلاد. وصلاة قانونية للقديسة مورا عام ١٤٦٨ يلي ذلك مخطوطات تضمنت الصلوات الفرضية للاحاد والمواسم نسخت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وقد اطلع عليها البحاثة الخوري ابرهيم حرفوش ووصفها في مقال ضاف نشره في مجلة المشرق عام ١٩٠٢ و ١٩٠٣

٥ - مكتبة الكرسي البطريركي في بكركي

لم يغمض بطاركة الموارنة في سالف الازمنة عن اذخار المخطوطات السريانية والحرص عليها. فقد كتب البطريرك ميخائيل الرزي (١٥٦٧-١٥٨١) الى رئيس الرهبنة اليسوعية العام يقول: «ان كتبنا بغير عدد»(١). وعلى رغم ما اتلفه او احرقه الزوار الرسوليون من المخطوطات السريانية كما روى المؤرخون فقد سلمت منها طائفة عظيمة بقيت الى عهد البطريرك اسطفان الدويهي. وقد أحصى هذا البطريرك اسماء النساخ في القرن الخامس عشر ممن وقف على مخطوطاتهم فاذا هم ينيفون على مائة وعشرة نساخ(٢)

ولا ريب في ان مخطوطات سريانية مارونية قديمة اندثرت وبادت بسبب تنقل البطاركة من دير الى دير. ومما اقتناه احدهم انجيل سطرنجيلي بديع نمقته يد ربولا السرياني رئيس دير مار يوحنا في زغبة. وقد اصبح ذلك الانجيل الفريد في حوزة مكتبة فلورنسا بايطاليا.

---

١) المشرق: مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ : صفحة ٦٨٢

٢) تاريخ الطائفة المارونية: للدويهي: صفحة ١٣٩ - ١٤٠

واعتنى البطريرك اسطفان الدويهي بتعزيز المكتبة البطريركية بما اقتناه او كتبه بخط يده. وأحرز خلفاؤه من بعده بعض مخطوطات تتضمن صلوات قانونية وسنكسارات وطقوس الاسرار. واشترى البطريرك بولس مسعد (١٨٥٤ – ١٨٩٠) بعض مخطوطات سريانية ملكية(١ ضمها الى المخطوطات السابقة وتحوي الان خزانة بكركي زهاء مائتي مخطوط بين سرياني وكرشوني وعربي.

٦ – سائر مكتبات الموارنة في لبنان

طاف الاب انطونيوس شبلي الراهب اللبناني اغلب اديار الموارنة عام ١٩٢٦ وألمع الى ما عثر عليه فيها من بقايا المخطوطات السريانية. ونشر معلومات عنها في مجلة المشرق مدة ثلاث سنوات متوالية. واقدم تلك المخطوطات لا يرتقي عمره الى ما قبل القرن الخامس عشر. نذكر منها فنقيثاً في مكتبة دير مار اليشع منسوخاً سنة ١٤٥٩ ورد فيه ما يلي: «وقف هذا الكتاب المبارك... المقدمين عبد المنعم بن الدين والحاج بدر بن قمر للقديس الفاضل المبارك مار برصوما المعمور بقرية بشري. اوقفه عن انفسهم وانفس اباهم وعن اولادهم وعن نفس المقدم رزق الله وعن ابنه يعقوب...»(٢

ومنها اناجيل سريانية منسوخة عام ١٥١٧ و ١٥٢٢ وفنقيث ثان منسوخ سنة ١٥٣٠ وذكر الاب انطونيوس ان بيعة مار سابا في بشري احتوت كتاب «الحاش» وفيه ميمر لمار يعقوب اسقف مدينة سروج عن لص اليمين.

اما مخطوطات دير مار انطونيوس قزحيا فاقدمها منسوخ سنة ١٦٦١ اضف الى ذلك مخطوطات خزانة سيدة نسبية ودير مار يوسف الحصن وعين ورقة في غوسطا. وقس عليها خزائن عشقوت وريفون وفيترون ولويزة فانها اشتملت ما عدا مخطوطات عربية عديدة على مخطوطات سريانية في الطقوس البيعية والسيامات الكهنوتية وبعض نوافير وميامر.

---

١) وصفها الخوري اسحق ارملة في مقال له نشرته مجلة المشرق عام ١٩٣٩

٢) المشرق: مجلد ٢٤ سنة ١٩٢٦ صفحة ٧٤٨

٧ ـ المكتبة المارونية في حلب

من المقرر ان الموارنة دخلوا حلب عام ١٤٨٩ كما اثبت المطران جرمانوس فرحات في مخطوط يخص المكتبة موسوم بالرقم ٦٢١ وهو يحوي الصلوات القانونية من احد تقديس البيعة الى احد الموتى . واخذ الاساقفة الحلبيون الموارنة منذ ذلك التاريخ يعتنون بجمع المخطوطات في خزانة بيعة مار الياس الحي ضموا اليها ثلاثة وتسعين مجلداً بين مخطوط ومطبوع سريانياً وعربياً . ولما تولى المطران جرمانوس ابرشية حلب (١٧٢٥ – ١٧٣٢) عزز تلك المكتبة حتى اصبح عدد كتبها سبعمائة وثمانية عشر مجلداً.

واشتملت تلك المكتبة على مجلدات شتى من مخطوطات الصلوات القانونية ورتب الاسرار والاحتفالات البيعية. واقدم مخطوطاتها السريانية انجيل سرياني وكرشوني نسخ سنة ١٥٤٧ وكتاب اعمال الرسل ورسائل مار بولس سنة ١٥٥٥ وانجيل ثان تاريخه سنة ١٦٧٢ وقوانين يعقوب ابن الصلبي مطران آمد يرتقي الى السنة ١٦٢٠ (١) . وقد اضيف الى تلك المكتبة بعد المطران جرمانوس مجلدات شتى اغلبها في اللسان العربي ليس من شاننا البحث عنها.

٨ ـ مكتبة البطريرك اغناطيوس افرام برصوم في حمص

للبطريرك العلامة مار اغناطيوس افرام الاول برصوم همة عجيبة غريبة لا يأخذها كلال في الدراسة والكتابة والتأليف ليلاً ونهاراً. فقد كلف منذ حداثته بالبحث عن الآثار السريانية القديمة . وساعدته الحظوظ فتعهد اغلب مكتبات الشرق والغرب واطلع على ما في خزائنها الكتابية الثمينة. فجال في بلاد آثور وطور عبدين وما بين النهرين وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر. وتعهد مكتبات الفاتيكان وفرنسا وانكلترا والمانيا وهولندا واميركا وغيرها من المكتبات العامرة. فنسخ او استنسخ ما رآه ذا فائدة كبرى لدرسه ونشره.

---

١) راجع وصف البحاثة الخوري ابرهيم حرفوش لمخطوطات المكتبة المارونية في حلب : المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤

وقد جمع هذا الحبر الانطاكي الهمام من المخطوطات السريانية عدداً ليس باليسير أشار الى بعضها في هوامش دقيقة علقها على كتابه النفيس «اللؤلؤ المنثور في العلوم والآداب السريانية». ويستفاد من تلك الهوامش انه أفرغ جهوداً عظيمة وانفق اموالا وافرة وقام باسفار شاقة حتى توصل الى جمع ما لم يجمعه احد غيره في يومنا من الكنوز الكتابية السريانية التي يتصل بعضها بالعصر الذهبي. وقد نظمها تنظيماً فنياً وزين بها خزائن كرسيه البطريركي في حمص. فأحرز بذلك ذكراً مستطاباً يدونه التاريخ لغبطته على ممر الاجيال. اطال الله عمره مفخرة للعلم وعماداً للوطن والملة.

الفصل الثاني والعشرون

الغسانيون والسريان في عصرهم الذهبي

١ – علاقات الغسانيين بالسريان

لا نرى ان نختتم بحثنا عن عصر السريان الذهبي دون ان نلمع الى العلاقات الوثيقة التي كانت تربط شعوب بني غسان وامراءهم وملوكهم بالامة السريانية. ولم تقتصر تلك العلاقات على الشؤون الوطنية بل شملتهم في العقائد الدينية حتى عهد المجمع الخلقيدوني عام ٤٥١ للميلاد. وفي جداول اساقفة المجامع المسكونية الاربعة الاولى اعني النيقاوي والقسطنطيني والافسوسي والخلقيدوني ورد ذكر فئة من اساقفة غسان قرروا ما قرره جمهور الاساقفة في تلك المجامع من العقائد الدينية. وبعد ذلك التاريخ انتمى الغسانيون قاطبة الى السريان القائلين بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح. وتشبثوا بها التشبث كله فدافعوا عنها سراً وجهراً وقولا وعملا(١).

٢ – ابرشيات السريان في غسان

تمكنت المنوفيزيتية في بلاد غسان وازدهرت فيها ابرشيات عامرة تسلسل

---

١) امراء غسان: للمستشرق نولد كه: طبعة بيروت سنة ١٩٣٣ صفحة ٢١

مطارنتها واساقفتها جيلاً بعد جيل قروناً عديدة. نذكر منها ابرشية بصرى ودرعا او ادرعت وبيثونيا وتدمر وبيرود والنبك وحوارين وصدد الخ . ثم ابرشية الرصافة وابرشية الرقة والكراسي الاسقفية الخاضعة لهما. ذلك ما عدا ابرشيات العرب الرحل كعرب تغلب ومعد وكلب الخ(١ وقد تولاها اساقفة كانوا تارة من السريان وطوراً من غسان.

واول اساقفة غسان المنوفيزيتيين كان ثئودور الذي نصب مطراناً لكرسي بصرى بامر الملكة ثئودورا السريانية وتحريض الحارث بن جبلة امير الغساسنة

٣ — اديار السريان في غسان

أسس السريان في بلاد غسان وباديتها اديارا شتى بلغ عددها ١٣٧ ديراً(٢ اشهرها دير جفنة تأسس تيمناً ببني جفنة ملوك غسان(٣ . ودير حالى الذي ابتناه عمرو بن جبلة ملك غسان(٤ . ودير اليمن. ودير طي الذي عد من اقدم اديارهم. ودير حنينا وكان من افخم الاديار وفيه عقد المنذر بن الحارث سنة ٥٨٠م مجمعاً لالقاء الصلح والسلام بين القلوب المتنافرة. ومنها دير زغبة الذي اشتهر في عهد رئيسه ربولا منمق الانجيل السطرنجيلي البديع وقد وصفناه في غير هذا الموضع . وقس على ما سبق دير الأكراح ويقال له دير العمود او دير مار زكى الذي شيدته على شاطىء الفرات الملكة ثئودورا السريانية . وفيه تثقف رهبان واساقفة وبطاركة امتازوا بعلومهم وفضائلهم . وقس على ذلك اديارا لا تقع تحت حصر

٤ — كنائس السريان في غسان

ما عدا الاديار العامرة التي شادها الغساسنة كما قلنا فهناك كنائس فخمة

---

١) راجع ملحق تاريخ ميخائيل الكبير
٢) مخطوطة لندن: رقم ١٢٥٤
٣) المشرق: مجلد ١ سنة ١٨٩٨ صفحة ٦٣١
٤) المشرق: مجلد ١٠ سنة ١٩٠٧ صفحة ٥٢٩

اسسوها في اطراف امارتهم الواسعة الارجاء . اقدمها وابدعها كنيسة مار سرجيس ومار باخس الشهيدين في الرصافة وقد سبق لنا وصفها (١ . ونضم اليها كنيسة الرقة التي اطلق عليها اسم «قاثوليقية» لفخامتها وضخامتها وقد تقدم لنا وصفها كذلك (٢ .

ولا تقل كنيسة بيثونيا عن تينك الكنيستين عظمة وجمالا . ابتناها نرساي كاتب الديوان الملكي وفيها دفن بعد وفاته (٣ .

ونضم اليها كنيسة بديعة شادها الامير المنذر بن الحارث الذي صار قسيساً واطلق عليه لقب «المحب للمسيح» نظراً الى تقواه وغيرته . وذكرت مخطوطة لندن السريانية (٤ ان اوسطاث نائب سرجيس رئيس دير عوقبنا تولى خدمة هذه الكنيسة الجميلة . ونضرب صفحاً عن تعداد سائر الكنائس التي شادها الغساسنة في بلادهم .

٥ — المؤلفون الغساسنة في عصر السريان الذهبي

قام في غسان كتبة عديدون انشأ البعض منهم تصانيفهم في اللغة السريانية والبعض الآخر في اللغة العربية . فمن الذين صنفوا في اللغة السريانية نذكر : القديس طيطس مطروبوليت بصرى الذي اشتهر في القرن الرابع وصنف تآليف جليلة اعظمها شأناً كتابه في تزييف بدعة «ماني» الملحد . وقد اكتشف المستشرقون تصانيفه السريانية ونشروها مع ترجمتها (٥ .

ونهج منهاجه خلفه القديس انطيفاتر فصنف عدة كتب في مواضيع دينية شتى . منها مقالاته في اتضاح الايمان وميامره اي مواعظه في الاعياد وردوده على المراطقة (٦ . ولسنا ننسى يوحنا مطران بصرى (+ ٦٥٠) العلامة الذي

---

١) راجع هذا الكتاب: فصل ١٣ عدد ٣ صفحة ٣٦
٢) راجع هذا الكتاب: فصل ١٤ رقم ١٣ صفحة ٤٧
٣) تاريخ يوحنا اسقف اسيا : جزء ٣ راس ٣٩ صفحة ٤٨
٤) مخطوطة لندن: رقم ١٢٥٤
٥) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: للاب لويس شيخو: صفحة ٣٤
٦) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: صفحة ٣٤ و٣٥

ذاع صيته بين فضلاء اساقفة عصره . صنف ليترجية سريانية بليغة معروفة باسمه اولها : «ايها الاله واهب المحبة والاتفاق» (١

ونضم الى هؤلاء الملافنـة بولس مطران الرقة الذي أكب في القرن السادس على نقل مصنفات البطريرك سويرا (+٥٣٨) عن اليونانية الى السريانية. ونظم انشودة للميرون جميلة. وقس عليه البطريرك بطرس الثالث القلنيقي (٥٧١-٥٩١) الذي اشتهر بتآليفه المحكمة وارتحل الى بلاد غسان ليوثق عرى الصداقة الدينية بين الكرسي الاسكندري والكرسي الانطاكي. وانشأ مقالات جمة في اليونانية والسريانية. وله ليترجية سريانية معروفة باسمه افتتحهـا بهذه العبارة: «ايها الاله الاب العلي الازلي».

اما العلماء الذين عاشوا في بلاد غسان و كتبوا باللغة العربية فكثيرون : اشهرهم الشاعر المفلق ابو مالك المعروف بالاخطل التغلبي (٦٤٠-٧١٠). وهو يعد من افاضل الشعراء بجودة نظمه ومتانة عبارته وغزارة معانيه وتفنن اساليبه. ومن اخبـاره ان امه ليلى علقت على صدره صليباً لم ينزعه مدة حياته كلها حتى عند دخوله على الخلفاء الامويين. وعرف لذلك بذي الصليب

ولد الاخطل نصرانياً وتبع العقيدة المنوفيزيتية الشائعة بين قبائل غسان. وكان يجاهر بدينـه دون حياء ولا وجل. وقضى ايامه في البلاد الخاضعة للدولة الاموية فمدح خلفـاء بني امية كيزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد (٦٨٠-٧١٥) حتى سمي شاعرهم الخاص. وبرز في مديح اعيان زمانه وكانوا باجمعهم يفضلون شعره على كل نفيس وثمين.

وعني الاب انطون صالحاني السرياني اليسوعي بديوان الاخطل فنشره غير مرة كاملاً مستوفى نقلاً عن عدة نسخ قديمة وحديثة وعلق عليه حواشي جزيلة الفائدة.

ونسج على منوال الاخطل ابن اخته عمير المعروف بالقطامي (+٧١٩) وكان نصرانياً منوفيزيتياً كخاله الاخطل وعاش في عهده . وكان معروفاً بين الخـاصة والعامة بالشاعر الفحل. وقد نشر ديوانه المستشرق برت عام ١٩٠٢ في ليدن بهولندا.

---

١) الليترجيات الشرقية والغربية: للبطريرك اغناطيوس افرام رحماني: ٣٩٤

الخاتمـة

اني اقف عند هذا الحد من التحدث عن الامة الآرامية السريانية في عصرها الذهبي. ويرى القارىء في كتابي هذا خلاصة ما امتاز به ابة السريان ونوابغهم وجهابذتهم من ذكاء الفطرة وسعة المدارك وعلو الهمة . فانهم انشأوا مدارس عامرة ووضعوا مؤلفات قيمة ونشروا عقيدتهم ما بين الشعوب القبطية والحبشية والارمنيـة والعربية والفارسية والمليبارية . واحرزوا مكانـة بارزة لدى خلفاء المسلمين وقياصرة الروم وملوك الصليبيين ولدى ملوك السلجوقيين والتتر وبني ارتق والكرج. وخلفوا ما خلفوا من الذخائر النادرة والكنوز الثمينة والمعاهد الاثرية والكنائس العجيبة والاديار العديدة الخ.

ولم اغفل عما تفرد به السريان من الفنون الجميلة كالتطريز والنقش والحفر والهندسة ولاسيما اتقانهم التصوير بجميع اشكاله وخاصة في مخطوطـاتهم النفيسة التي تعد درة على مفارق علمائهم ومفكريهم . وذكرت كذلك فن الموسيقى عندهم ونوهت باسماء ناظمي اناشيدهم المختلفة الاشكال المتباينة الاوزان. واحصيت ما استعملوه من آلات الطرب في منازلهم وهياكلهم ومعاهدهم.

ووصفت بعد ذلك كله وصفاً دقيقاً استنباط الفنيقيين السريان للحروف الابجدية وتلقينهم اياهـا لسائر الشعوب المتحضرة . وهي منـة عظيمة يجب على تلك الشعوب ان تقر لهم بها على ممر الازمان. ثم اتيت على ذكر الخطاطين السريان وقدامة مخطوطاتهم ونفائسها المصورة والمزخرفة ولم يزل بعضها محفوظاً بكل حرص في خزائن الشرق والغرب.

واوردت ايضاً اخبار مكتبات السريان القديمة العهد وما تبقى منها الى يومنا. وهي تنطق بما كان لهم من العلم الراسخ والمقام الباذخ. وختمت الكتاب بفصل ضمنته حوادث جديرة بالذكر عن الغساسنة وعلاقات ملوكهم وامرائهم بالامة السريانية في عصرها الذهبي.

تلك خلاصة ما اودعته كتابي هذا من الاخبار النادرة السديدة التي لم يتصد لذكرهـا مؤلف قبل اليوم. وأؤمل ان يحوز الرضا لدى اهل البحث والنقد ولا سيا لدى علماء التاريخ والسلام

فهرس كتاب

عصر السريان الذهبي

صفحة

89